سلسلة السلوك والتزكية
7

أعمال القلوب

تعليم ذاتي يُعرِّف المسلم بكيفية تربية قلبه
على الاستقامة والصلاح

مركز أصول
Osoul Center
www.osoulcenter.com
Rabwah

أعمال القلوب

تعليم ذاتي ضمن سلسلة
السلوك والتزكية للمسلم الجديد

مركز أصول
Osoul Center
www.osoulcenter.com

ⓒ جمعية الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالربوة ، ١٤٤٥هـ

أصول
سلسلة السلوك والتزكية (٧) : أعمال القلوب. / أصول - ط١.
.- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٥٢ ص ؛ ..سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٥٧١٠
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤١٧-١٨-٨

- قام المركز بتصميم هذا الإصدار.
- يتيح المركز طباعة الإصدار ونشره بأي وسيلة مع الالتزام بالإشارة إلى المصدر، وعدم التغيير في النص.
- في حالة الطباعة يجب الالتزام بمعايير الجودة التي يعتمدها مركز أصول.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي قال في كتابه العظيم: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ [هود:١١١] ؛ وبيَّن للناس سبيل الاستقامة والرشد فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والصلاة والسلام على رسوله الكريم الذي قال: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم» وأشار بأصابعه إلى صدره، وقال: «إن اللّهَ لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» [مسلم: ٢٥٦٤]، وبين موضع الصلاح ومنطلق الاستقامة فقال: «ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» [البخاري: ٥٢، ومسلم: ١٥٩٩].

أما بعد:

فإن قلب الإنسان إذا استقام وصلح، استقامت نفسُه وجوارحه؛ لأن القلب قائدها، واستقامت بعد ذلك مختلف أحواله وأعماله، وحصل له من الانشراح واللذة والمتعة والسرور والبهجة ما لا يعرفه إلا من ذاقه، فيكون في جنة معجَّلة قبل جنة الآخرة.

ولهذا كانت أعمال القلب وعباداته أشرف وأعلى من أعمال الجوارح وعباداتها؛ حيث إن هذه الأخيرة لا اعتبار لها دون تلك، فلا قيمة لعمل بلا إخلاص، ولا إخلاص دون توحيد، ولا ثواب بلا رضا وصبر وشكر، وذلك مرتبط بالمحبة والخوف والرجاء، والمراقبة والورع والتوكل والحياء والتوبة.

وكل عمل ظاهره الصلاح يفسد عندما يكون مقصده فاسدًا؛ كالرياء أو الزهو والتعاظم، فيصير مردودًا ولو مدحه الناس وأثنوا على صاحبه بكل كلام جميل، فالله أعلم بما في النفوس.

والقلوب تحتاج دومًا إلى التربية والتعاهد والإصلاح، وهذا يحتاج بدوره إلى دربة ورياضة للنفس يغفل عنها كثير من الناس، وفي كتابنا هذا لمحة عن أعمال القلوب وعباداتها، بإجمال واختصار، فالباب واسع كبير، وكل ما يقال فيه قليل، ولكن من منطلق قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات:٥٥]، وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾﴾ [الأعلى: ٩ – ١١]، وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية: ٢١].

فنسأل الله أن نكون وُفِّقنا في ذلك؛ ليكون هذا الكتاب سببًا في تثبيت المؤمنين على هذا الدين، ورضًا لنا عنده سبحانه يوم الدين، اللهم إنا نسألك أن توفقنا للإصابة، وتكرمنا بالتوبة والإنابة، وأن تفتح لأدعيتنا أبواب الإجابة، وأن تذيقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك، فأنت أهل العفو والمغفرة، والحمد لله أولًا وآخرًا.

محتويات الكتاب

المحور الأول

عناصر تكوين الإنسان

تمهيد ١١

من عجائب خلق الإنسان ١٢

جسم الإنسان ١٤

النفس الإنسانية ١٨

القلب ٢٤

العقل ٢٦

الروح ٣٢

التقويم ٣٦

المحور الثاني

أعمال القلوب

مفهوم أعمال القلوب ٤٢

علاقة العقيدة بأعمال القلوب ٤٤

أنواع الأعمال القلبية وأهميتها ٥٠

أثر صلاح القلب في الدنيا والآخرة ٥٦

أثر فساد القلب في الدنيا والآخرة ٦٠

الوسائل التي تؤدي إلى صلاح القلب ٦٤

التقويم ٧٠

المحور الثالث

أعمال الجوارح انعكاس لما في القلوب

أهمية القلب	٧٨
علاقة أقوال الإنسان بقلبه	٨٠
علاقة أفعال الإنسان بأعمال قلبه	٨٤
علاقة تفكير الإنسان بأعمال قلبه	٩٢
عبادات يغفل عنها الناس	٩٨
التقويم	١٠٢

المحور الرابع

نماذج من سير الأنبياء والصالحين

تمهيد	١١١
نماذج من أخبار الأنبياء عامة	١١٢
نموذج من أخبار نبي الله يعقوب	١١٦
نماذج من أخبار نبي الله محمد ﷺ وسيرته	١٢٢
نماذج من أخبار الصحابة والصالحين	١٢٨
التقويم	١٤٢

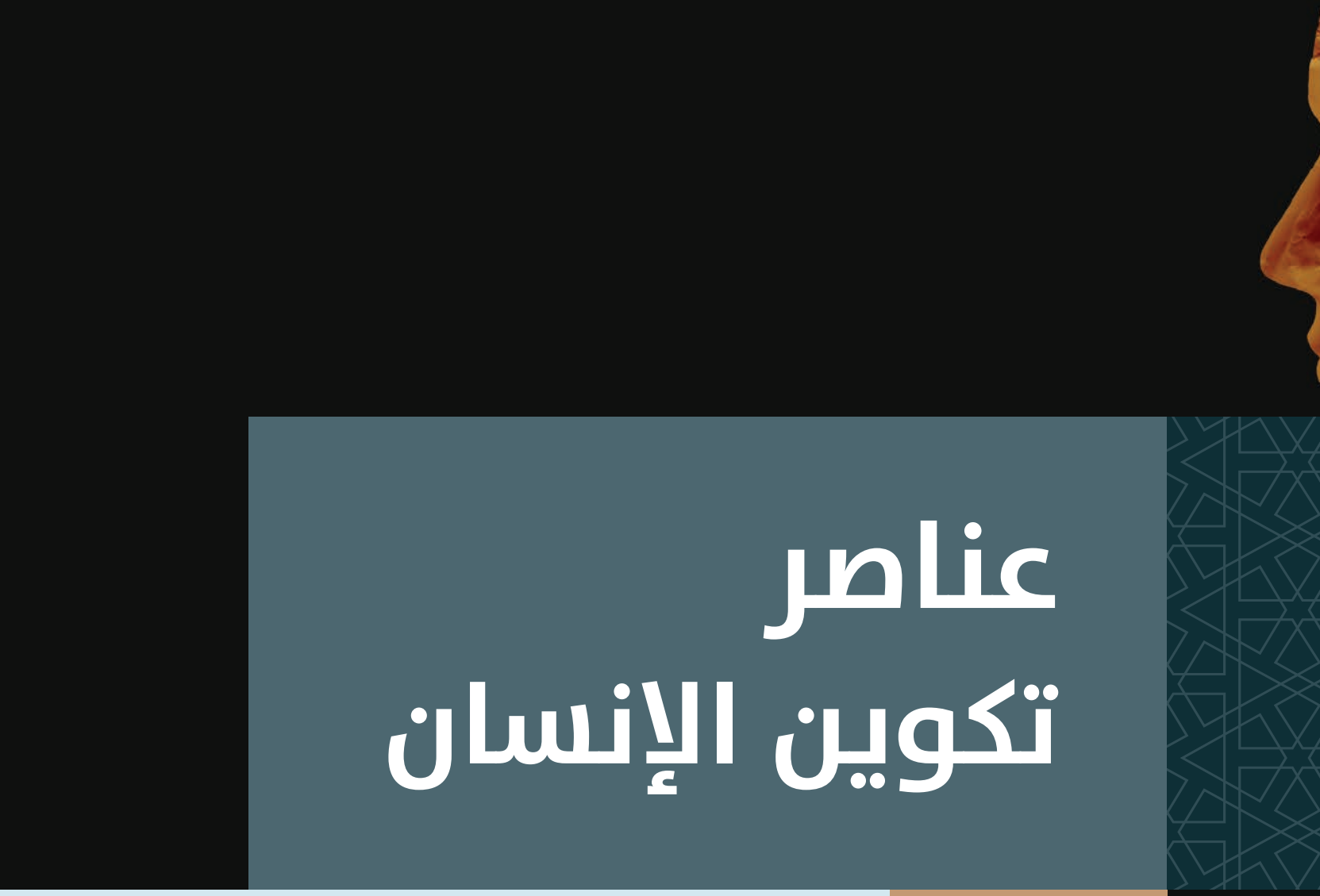

عناصر تكوين الإنسان

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يميز بين عناصر تكوين الإنسان.
- يكتشف الصلة والارتباط الدقيق بين هذه العناصر.

مدخل:

- هل فكرت يومًا في عناصر تكوين ذاتك؟
- ما هي عناصر تكوين الذات الإنسانية؟
- ماذا تعرف عن تلك العناصر؟
- كيف ترتبط تلك العناصر فيما بينها؟
- هل تعمل متفرقة أم مجتمعة؟
- ما آلية عمل هذه العناصر؟

تمهيد

عكف عبد العليم يدرس مظاهر الكون وما يعلمه عن نفسه من عجائب خلق الله تعالى، حتى صار مسلمًا يدرك لماذا هو مسلم، وتعرَّف على معنى انتمائه للإسلام وحقوقه وواجباته، ثم اطلع على قصص الأنبياء ومعانيها وعِبَرها وإرشاداتها، وتعرف على بعض الصحابة من خلال قصصهم ومواقفهم، ثم لما كان يتعلم معاني الطهارة في الإسلام استوقفه كثيرًا اهتمام الإسلام بطهارة النفس والقلب والعقل، وخاصة لما قرأ قول رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» [مسلم: ٢٥٦٤]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، واذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» [البخاري: ٥٢، ومسلم: ١٥٩٩].

فقال مخاطبًا نفسه:

- هل أركان الإيمان الستة هي مجرد كلام ننطق به ونعبر عن رضانا بمضمونه فقط؟
- هل الصلاة والزكاة والصيام والحج أعمال نؤديها باللسان والجسد لا غير؟
- أم أن هذه الأفعال الظاهرة هي كساق الشجرة وأغصانها، ولكن لا قيام لهذه الشجرة ولا حياة إلا بجذرها الذي يختفي في الأرض وهو أصلها وأساسها؟

سأل نفسه مستفهمًا ومتعجبًا، وأخذت الأسئلة تداهم عقله كلما وجدت فرصةً لإثارة تفكيره، أرَّقه الأمر أيامًا، وزاد اهتمامه بالموضوع وشعر بشغف لمعرفة الأجوبة.

قرر عبد العليم زيارة مركز إسلامي يقوم عليه عدد من العلماء الثقات، ليجد عندهم جوابًا لتساؤلاته وتوضيحًا ينطلق منه إلى متابعة دراسته واطلاعه وتعمقه، وهناك لقيَ عالمًا متخصِّصًا في التربية وعلم النفس الإسلامي.

قال العالم: لعلك تعلم يا عبد العليم أن الإسلام دين العلم والمعرفة، وكل شيء فيه يبنى على أساس ذلك، والإنسان مكون من عناصر وفق ما توصل إليه العلماء لا من عنصر واحد.

قال عبد العليم: أنا في شغف لمعرفة تلك العناصر ومدى ارتباطها بموضوعنا.

من عجائب خلق الإنسان

تتكون الذات الإنسانية من روح وبدن ونفس وقلب وعقل، ويختلف العلماء حول الأوسع من العناصر وما يحيط بغيره، وما هو رأسٌ وما هو فرعٌ من هذه العناصر.

ويتفق العلماء من مختلف الاختصاصات على أن ما عُرف عن تكوين الإنسان بشكل دقيق وموسع، ليس إلا نزرًا يسيرًا من كثير لا تدركه عقولنا ولا تستوعبه أفهامنا، فهي رغم قدراتها الباهرة تبقى قاصرة ناقصة، لا تحيط بعجائب صنع الله وخلقه.

تدبر الآيات الكريمة ثم ناقش ما تضمنته.

﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ١ - ٤].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥﴾

[المؤمنون: ١٢ – ١٥].

﴿ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٦ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾

[السجدة: ٦ – ٩].

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾

[الشمس: ٧ – ١٠].

- ماذا تفهم من الآيات السابقة؟
- كيف بدأ الله خلق الإنسان؟
- إلام يشير خلق الإنسان من طين ثم إلهام النفس الهدايةَ والفجورَ؟

الله سبحانه هو خالق هذا الإنسان، بدأ خلقه من طين، وهو التراب المخلوط بالماء، فكوَّن منه جسم آدم، ثم نفخ فيه الروح، ثم جعل تناسله عبر النِّطاف، وبينت الآيات السابقة من سورة "المؤمنون" مراحل خلق الإنسان، والتي أعقبها أن الله أنشأه خلقًا آخر، لتأتي الآيات من سورة السجدة لتبين أن الله تعالى بعد خلق الإنسان في تلك المراحل بث فيه الروح، ووهبه القوى المختلفة المتنوعة، ولتبين سورة الشمس أن نفس الإنسان تملك القدرة على الفجور والتقوى.

نتيجة

الإنسان أعقد مخلوق في الكون:

فأما الجسد فإعجاز الله سبحانه في خلقه ظاهر للعيان؛ في خلاياه وأنسجته وأجهزته وأعضائه، ويكشف العلم في كل يوم جديدًا ما كان يُعْلَمُ من قبل.

وفي تكوين النفس وما تمتلكه من الأجهزة والقوى وغير ذلك ما يُعْلَمُ قليله ويُجْهَلُ أكثره.

أما الروح فحقيقتها سر من أسرار الغيب.

والمذهب الحق الذي دل عليه القرآن والسنة وأقوال الصحابة وجمهور العقلاء، أن الإنسان هو الجسد والنفس والروح معًا، وقد يطلق اسمه على أحدها دون الآخَرَين بقرينة.

نشاط إثرائي

ذكر القرآن الكريم عناصر تكوين الإنسان في مواضع متعددة.

- اجمع بعض الآيات الكريمة التي تشير إلى تلك العناصر أو إلى بعضها.

جسم الإنسان

تدبر قول الله تعالى:

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢].

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح:١٧-١٨].

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: ٦٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥].

- بعد تدبر الآيات السابقة استنبط منها مراحل خلق الإنسان، ومراحل حياته.
- طرحت الآيات خلق الإنسان مثلًا ودليلًا على البعث، كيف تربط بين الأمرين؟
- هل اطلعت على بعض نماذج الدقة والإتقان والإعجاز في خلق جسد الإنسان؟ لخص أحد النماذج التي تعرفها وشاركه مع الأصدقاء.
- بعد التفكر في النماذج المتنوعة اكتب استنتاجاتك -وخاصة في مجال العقيدة والإيمان- وشاركها مع الأصدقاء.

هل تعلم؟

الدماغ: مركز التفكير والنشاطات الذهنية الراقية والقيادة والإدارة، والسيطرة على البدن وأجهزته كلها؛ كالرؤية واللمس والشم والذوق والنطق والتنسيق والتوازن والتنفس وضغط الدم وغيرها، والهيمنة الآلية للتنسيق بين حركات العضلات وتعَلُّم العادات واكتسابِ المهارات، والتَّحَكُّم بعمل العضلات غير الإرادية، وضربات القلب والتنفس وحركة المعدة والأمعاء والبلعوم والمريء عند البلع.

أضف إلى معلوماتك

القلب: عضلة من أعقد العضلات بناء وعملًا وأداء، وهي من أمتنها وأقواها، مضخة الدم الذي يحمل الغذاء والوقود إلى كل خلية ونسيج وعضو وجهاز، عن طريق شبكة دقيقة متفرعة معقدة من الشرايين والأوردة والأوعية، تنقبض وتنبسط، وذلك عن طريق شبكة هائلة من الأعصاب تنظم تلقائيًا عملية ضخ الدم المستمرة، وتؤمّن دوران الدم في الأعضاء، يبدأ العمل منذ أن يبدأ في النبض ولا يتوقف حتى نهاية الحياة، يرسل إشارات كهرومغناطيسية للدماغ أكثر مما يرسل الدماغ إشارات للقلب.

نشاط إثرائي

أثبت العلم أن لكل إنسان بصمات يختلف فيها عن غيره من الناس (بصمة الأصابع، والصوت، والأسنان، والعين، والرائحة، والشفاه، والأذن، والوراثة DNA) حاول البحث في إحداها للتعرف على شيء من نماذج الدقة والإتقان والإعجاز في خلق جسد الإنسان.

نتيجة

لو حاولنا البحث في دقة تكوين أجسادنا، وتناسق الأجزاء والأجهزة والوظائف؛ لوقفنا منبهرين أمام كل عضو صغير، بل أمام كل خلية مفردة في هذا الكيان الدقيق العجيب، الذي يعجز عن فهم بُنيته حق الفهم أعلم العلماء، ففي العين والأذن والشعر واللسان واللعاب والكبد والكليتين والجلد والعظام والأعصاب، وغيرها، آيات عظام ترسخ المعاني السابقة، وقد كتب أهل الاختصاص في الطب والعلوم وغيرها في ذلك ما لا يحصى، فسبحان الله القائل: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التغابن ٣]، ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١].

قال العالم: هل كانت هذه الفكرة السريعة عن جسم الإنسان كافية؟

قال عبد العليم: إن لدي اطلاعًا على هذا المجال وأشكرك للإضافات التي زودتني بها.

قال العالم: فهل ننتقل إلى عنصر آخر؟

عبد العليم: نعم على بركة الله.

قال العالم: فلنتحدث عن النفس الإنسانية.

النفس الإنسانية

شعور وعواطف وإلهام ووسوسة، عقل وإدراك وبيان، أكل هذا من خلية واحدة صغيرة ضئيلة مهينة! كيف؟ ومن أين؟

تدبر الآيات التالية:

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٢٣٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣٣].

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

[البقرة: ٢٨١].

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

[يوسف: ٥٣].

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾

[النحل: ١١١].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾

[العنكبوت: ٥٧].

من أراد الوقوف على عيب نفسه فله في ذلك أربع طرق ، تجدها في كتاب «روح الطهارة» من هذه السلسلة .

نشاط توجيهي

كيف تعرف بنفسك؟

إذا أردت التعريف بنفسك لشخصٍ آخر، فعادة لن تحدثه عن جسدك؛ عن طولك ووزنك ولونك.

بل ستبدأ باسمك، ثم تفاصيل أخرى، فقد تخبره عن عمرك أو مجال عملك أو وظيفتك، أو علومك وشهاداتك، أو عن خبراتك، وربما عن هواياتك أو عن عائلتك، وقد تحدثه عن مبادئك وأخلاقياتك وعن دينك، وغير ذلك وفق ما يتطلبه موقف التعريف.

وإذا أردت أن تتعرف على شخص فربما تسأل عن كل ما سبق أو بعضه، ولكن سيكون ضروريًا أن تعرف طريقة تفكيره، وإدراك الشخص لنفسه، وإيمانه بنفسه وبصفاته، وتقديره للآخرين،.....إلخ.

حاول أن تكتب تعريفًا موجزًا عن نفسك.

هل تعلم؟

علم النفس: هو العلم الذي يهتم بدراسة النفس الإنسانية، ويتمثل بالدراسات العلمية للسلوك والعقل والتفكير والشخصية، فهو يبحث في السلوك من حيث علاقته بالحياة العقلية؛ شعورية كانت أو لا شعورية، وذلك بهدف التوصل إلى فهم هذا السلوك وتفسيره والتنبؤ به والتحكم فيه. وتشير كلمة علم النفس أيضًا إلى تطبيق هذه المعارف على مجالات مختلفة من النشاط الإنساني، بما فيها مشاكل الأفراد في الحياة اليومية، ومعالجة الأمراض العقلية.

تابع التدبر:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ٣٤ ﴾

[لقمان: ٣٤].

﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا ١٣ ﴾

[السجدة: ١٣].

﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾ [السجدة: ١٧].

﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ١٨ ﴾

[الحشر: ١٨].

﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ ﴾ [المدثر: ٣٨].

﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ ﴾

[النازعات: ٤٠].

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ ﴾ [الفجر: ٢٧ – ٢٨].

﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾

[الشمس: ٧ – ١٠].

ناقش

- ماذا تفهم من كلمة "نفس" الواردة في كل الآيات السابقة؟
- كيف تُدرك النفس؟ هل تُدرَك النفس بالحواس الخمس؟ وهل تَخضَع للعلوم التجريبية؟
- ما علاقة النفس بالبدن؟
- ما مصدر فهم النفس والعلم بمكنوناتها على الحقيقة؟
- ما مفهوم النفس كما تستنبطه من الآيات؟
- ما مكونات النفس وما هي قواها؟

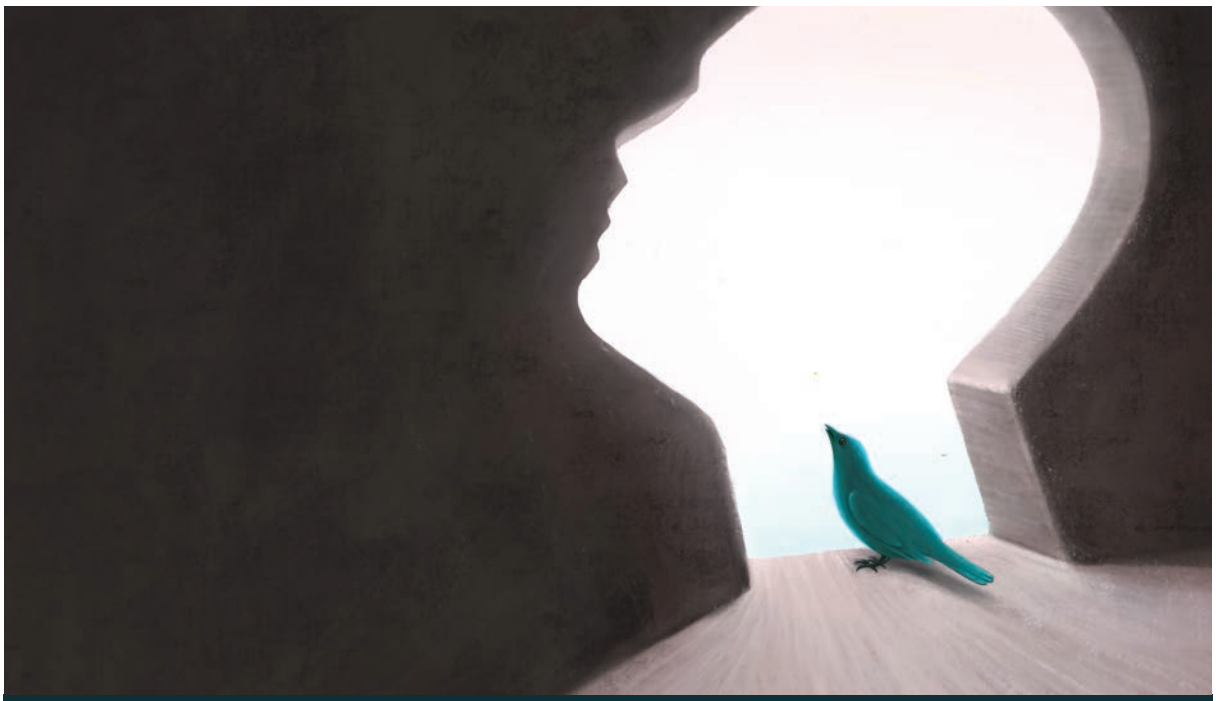

كما أن للإنسان جسدًا فإن له نفْسًا، وهي حقيقة الإنسان المنفصلة والمتميزة عن الآخرين، والتي تتجاوز المادة، فهي تعني الأنا التي تعرف، وتعاني، وتتذكر، وتعتلج فيها المشاعر والعواطف؛ تهوى وتشتهي وتصطرع فيها الشهوات والقيم والحاجات، والمبادئ والأفكار، لأنها تعقل وتعلم وتفهم وتكسب وتعمل وتجادل.

ولديها رغبات من الظواهر الهامة بما في ذلك الهوية الذاتية، واحترام الذات، والتنظيم الذاتي، وتحسين الذات، وهي المسؤولة والمحَاسَبُة.

فهي حقيقة الإنسان، وهي نفس الإنسان وذاته، وتوصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها المتقابلة من الخوف والرجاء، الحب والكره، الواقع والخيال، الالتزام والتحرر، السلبية والإيجابية، الفردية والجماعية، الدوافع والضوابط، الخير والشر، الثوابت والمتغيرات، الفجور والتقوى، الإلهام والوسوسة، الكفر والإيمان، وهي تحيا وتموت، كما تكون النفس كريمة أو لئيمة، قلقة أو مطمئنة، متهورة أو رزينة، صادقة أو كاذبة، أمينة أو خائنة، وهذا كله لا يطلق على الجسد، فالجسد لباس أو مركوب للنفس، وقد يجتمعان وقد ينفصلان.

نتيجة

هل تبين لك أن

كل إنسان متفرد بخصائصه وميزاته عن بقية البشر، فإن كانت الأجساد تتشابه وتتماثل بمكوناتها وأعضائها وأجهزتها بين جميع الناس، فدور الجسد لا يتعدى أن يكون مَرْكِبًا ومحلًّا لتصرف النفس، ومستقبلًا حسَّاسًا ومنفذًا.

وأما النفس فقد عجز عن إدراك خصائصها تمام الإدراك علماء النفس والأطباء النفسيون!

ليس لدينا مصدر لفهم النفس والعلم بمكنوناتها على الحقيقة إلا الوحي ممن خلقها وسواها.

للنفس أنواع -كما حدثنا القرآن الكريم- فقد تكون أمَّارة بالسوء، وقد تكون لوَّامة، وعند ارتقائها ويقينها وإخلاصها لله تعالى تكون النفس المطمئنة.

للنفس أعمالها وأمراضها وآفاتها.

للنفس أجهزتها وقواها؛ من قلب وفؤاد وعقل ولب وبصيرة.

ابحث في القرآن الكريم وفي الحديث الصحيح عن آيات وأحاديث توسع مفهوم النفس الإنسانية، وتوضِّح صفاتٍ وأحوالًا أخرى للنفس.

(يمكنك الاستفادة من كتب علم النفس وعلم النفس الإسلامي ومنها: دراسات في النفس الإنسانية الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في خلق الإنسان وبعثه وحسابه، د. ماهر الصوفي).

إثراء

قال العالم: بعد حديثنا عن النفس بشكل عام ومجمل، فسأحدثك عن مكوناتها وقواها.

عبد العليم: أرجو ذلك، فقد بدأت أدرك العلاقة بين المكونات الداخلية للإنسان والتي يحتار بفهمها كل من حاورتهم من الناس.

العالم: فلأحدثك بلمحة سريعة عن القلب.

القلب

تدبر الآيات التالية وتفكر في معنى مصطلح القلب الوارد فيها:

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨].

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦].

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الحجرات: ٧].

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجرات: ١٤].

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧].

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١].

- هل تعرف آيات أخرى تتحدث عن القلب أو القلوب؟ اذكر بعضها.
- ما مفهوم القلب كما تفهمه من آيات القرآن الكريم؟

- ما علاقة القلب بالسمع والبصر كما فهمت؟
- هل القلب الذي تتحدث عنه الآيات هو العضلة التي مهمتها ضخ الدم واستعادته؟ وضح وجهة نظرك.
- تحقق مما وصلت إليه من نتائج بعرضها ومقارنتها بحديث النبي ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» [مسلم: ١٥٩٩].
- ماذا تستنتج؟

نتيجة

القلب في القرآن له دور الرئيس في تكوين الإنسان، فهو الجانب المدرك منه، وهو محلٌّ للإيمان والكفر، والأخلاق خيرها وشرها، والفقه والعلم والتقوى والإخلاص والإخبات، ومعرفة الله ومحبته والإنابة إليه والخوف منه، وهو محل الحب والبغض، والوساوس والخطرات، والإصرار، والطمأنينة، والاضطراب والتعقّل والتدبر، والبصيرة أو النفاق والزيغ والفسوق والعصيان، واللهو والإباء، والرعب والغيظ، والحسرة، والقسوة، والحمية، وتعمد الخير أو الشر؛ فبصلاحه صلاح الإنسان وبفساده فساده، وصلاحه بمعتقده وإرادته وقصده، وذلك منشأ أعمال القلوب، ولا شك أن القلب الذي هو أحد أعضاء الجسد له علاقة وثيقة بالقلب المعنوي الذي هو رئيس النفس.

قال العالم: بعد هذا الحديث عن القلب، لابد من الحديث عن أهم قواه والتي لا يكلف الله الإنسان إلا إذا امتلكها.

عبد العليم: لعلك تقصد العقل؟

العالم: بالتأكيد!

عبد العليم: وهل العقل تابع للقلب؟

العالم: هكذا تفيدنا آيات القرآن الكريم؛ وكما بينت الآيات السابقة في أول حديثنا عن القلب.

العقل

لدينا مجموعتان من الآيات الكريمة:

المجموعة الأولى:

تدبر الآيات الكريمة مركزًا على معنى مصطلح العقل فيها:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧٠ – ١٧١].

﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٢].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس: ٩٩ – ١٠٠].

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت: ٣٥].

ناقش

- من الذي يعقل ومن الذي لا يعقل؟
- ما الأدوات التي يحتاجها العقل؟
- ما مفهوم العقل عندك؟
- ما دور العقل في حياة الإنسان؟
- ما علاقة العقل بالنفس والقلب؟

هل تعلم؟

كان أكثر صناديد الكفر وكذلك يهود المدينة المنورة في زمن النبي عليه الصلاة والسلام مقتنعين عقلًا أن محمدًا خاتم الأنبياء وأن القرآن كتاب الله ووحيه ويدركون حقيقة الدعوة، ولكنهم كانوا ينكرون ويحرفون عامدين!

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٣-١٤]

يبين القرآن الكريم أن العقل وظيفة وفاعلية يقوم بها الإنسان، فالعقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل، وهو قوة ملكة الإدراك التي تسند للقلب، وليس عضوًا ماديًّا؛ لذلك ورد مصطلح العقل في القرآن دومًا بصيغة فعل مرتبط بالزمن، فهو وظيفة يقوم بها الإنسان بمختلف حواسه ومداركه، وبه يتمكن الإنسان من الاختيار فيما يُخَيَّر به، وهو الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية، واكتساب الخبرات العملية، وتدبير الصناعات الفكرية؛ فيؤهله للإيمان والاتعاظ واستبيان الرشد من الغيِّ.

المجموعة الثانية:

تدبر الآيات الكريمة مركزًا على معنى مصطلح الألباب فيها:

﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩].

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠].

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المائدة: ١٠٠].

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٨].

تذكر:

العقل: طاقة هائلة بها يكون الفهم والفكر والتحليل المعرفي والتركيب والاستدلال المنطقي والتقييم والتقويم والتعلم، قد حباه اللّهُ الإنسانَ وكرمه به، فبه يعرف الإنسان خالقه، وبواسطته يعبر عن نفسه، ولا تخاطَب النفس البشرية إلا من خلاله، وبه يدرك المسلَّمات، ويُكَوِّنُ المبادئ والمنطلقات، ويبني عقيدته التي يؤمن ويسلم لها، ويحرز القيم، ويبني القوى الإدراكية والتحليلية والإبداعية مما يؤهله ليكون سيد المخلوقات وأفضلها، ولذلك كان العقل مناط التكليف والمحاسبة، عند كمال الإدراك والفهم بعد البلوغ، بإدراك الخير والشرّ والتمييز بينهما، وحفظه أحد أهم مقاصد الشريعة، وبه حفظ الأمانة التي حملها الإنسان.

ناقش

- ما الرابط بين الآيات في المجموعة الثانية؟
- كيف تربط بين آيات المجموعة الأولى وآيات المجموعة الثانية؟
- هل من علاقة تراها بين مفهوم العقل ومفهوم الألباب؟ ما هي؟
- هل يكفي تملك الإنسان للعقل الذي يوصله إلى الحقيقة ليتبناها ويعمل بها؟
- ما السمة التي إذا اتصف بها الإنسان نقل الاقتناع العقلي المختزن في داخله، إلى واقع عملي ودروس يستفيد منها في الحياة؟

نتيجة

اللُّبّ في حقيقته يمثّل خلاصة العقل، فليس كل عاقل يتذكر، وإنما من بذل جهده متفكرًا سيصل للتذكر، فعلاقة التذكّر بالتفكر كعلاقة حصول الشيء المطلوب بعد التفتيش عنه؛ ولهذا كانت آيات الله المتلوة والمشهودة ذكرى، ولكنها لأولي الألباب، فتلك خصيصة لهم، ولذلك علَّق الله الأحكام التي لا تُدركها إلاَّ العقول الذكيَّة بأولي الألباب، يعني: العقل الخالص من الشَّوائب، العقل الزاكي، لأن كلّ لبٍّ عقل ولا عكس.

الإيمان الذي يدعو إليه القرآن الكريم والحديث الشريف هو شيء أكثر من مجرد الاقتناع العقلي، ومن التقبل النظري للحقائق الموحى بها إلى الرسول ﷺ، ذلك أن هذا الاقتناع والتقبل يستتبع موقفًا يلتزم به كيان الإنسان كله، فالإدراك والاستيعاب والفهم العقلي للحقيقة لا يكفي وحده، وأولو الألباب هم الذين يحولون هذا الإدراك والاستيعاب والفهم إلى واقع عملي، فيعملون بالحقيقة التي توصلوا إليها ولا يحرفونها أو يستكبرون عنها طغيانًا وظلمًا.

نشاط إثرائي

- ابحث في القرآن الكريم عن آيات أخرى تتحدث عن العقل والألباب.
- اجمع الآيات وتدبرها، ثم اكتب استنتاجاتك وشاركها.

قال عبد العليم: لقد أفدتني كثيرًا في هذا اللقاء، وسأبذل كل جهدي للقاء آخر قريب، فلقد كان الحديث مشوِّقًا وغاية في الأهمية.

العالم: لكن قبل أن نتوقف عن حوارنا اليوم، ما رأيك أن نتحدث باختصار عن العنصر الثالث من عناصر تكوين الإنسان؟

عبد العليم: أنا حريص على ذلك، ولكني لا أريد أن أشق عليك.

الروح

الروح سر غيبي لم يخبرنا الوحي عن حقيقته، ولا يمكن التعرف عليها بالتجربة والعلوم العملية.

ولكن هل يمكن التعرف على بعض صفاتها من خلال الآيات والأحاديث؟

لنتفكر ونتدبر:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٨ – ٢٩].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

وفي الحديث الشريف: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان»، قال: « فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيِّ السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها...».

قال: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب. قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح...»

[أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم: (١٨٥٣٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح].

وفي رواية قال: «فينتزعها تتقطع معها العروق والعصب» [أخرجه الإمام أحمد برقم: (١٨٥٣٥) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح].

وفي الحديث أيضًا: «إنما نسَمة المؤمن طائر يَعْلَقُ في شجر الجنة، حتى يُرجعها الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه» [رواه أحمد في مسنده، رقم: (١٥٧٨٧)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين].

تطهير الفكر وصيانته من الأفكار الملوثة، والتصورات الفاسدة المناهضة للإسلام، ونبذ كل ما يخالف هذا المنهج من أوهام أو ضلالات، مبدأ من مبادئ المسلم ، ولمعرفة المزيد ارجع إلى كتاب «المنهج السليم في التعامل مع الشبهات» من هذه السلسلة.

ناقش

- ماذا تعرف عن الروح؟
- هل تظن أن هناك من لا يؤمن بالروح عند الإنسان؟
- ما الذي يميز الحي عن الميت؟
- ما علاقة الروح بالنفس وبالجسد؟

الروح غير النفس، والنفس غير الروح، لكن النفس لا تكون ولا تقوم إلا بوجود الروح، فالعلاقة بينهما كعلاقة الجسد بالروح، فلا يقوم الجسد بلا روح.

النفس صورة الإنسان المعبرة عنه.

ميز الله تعالى بين الجسد والنفس وبين نفخ الروح؛ وإذا سلبت الروح من الإنسان صار إلى سبات، ومن ثَمَّ جسده إلى فناء، حتى يعيد الله خلقه ويبث فيه الروح من جديد.

الروح تمنح الإنسان الحياة والطاقة والقوة، فالأجهزة قد تكون صالحة قادرة على العمل، ولكن عدم تزويدها بالطاقة يجعلها معطلة، وكذلك أجهزة تكوين الإنسان من جسد ونفس وقلب وفؤاد وعقل، فإنها بدون روح تكون معطلة عن العمل.

نتيجة

قال العالم: ختام محور حديثنا اليوم:

إذا قارنا عجائب خلق الجسد بخلق النفس والقلب والعقل -وما وراء ذلك من مكونات الذات الإنسانية وقواها- فإنها لا تعدو أن تكون شيئًا يسيرًا، هذا فضلًا عن مقارنة عجائب خلق الجسد بالروح.

والصعوبة التي يصطدم بها العلم في تفسير حقيقة الإنسان وفهمها بشكل دقيق، هي تفرد الإنسان كجنس، وتفرد الإنسان كفرد.

نسأل الله تعالى أن يجمعنا في لقاء قريب؛ لنتحدث عن أعمال القلوب، ونحاول معًا أن نتعرف عليها، من خلال فهم وتدبر معاني آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ.

عبد العليم: سأكون في غاية الشوق لذلك اللقاء.

التقويم

١ بيِّن من خلال رسم توضيحي الصلة والارتباط بين عناصر تكوين الإنسان.

٢ بينت آيات كريمة مراحل خلق الإنسان من التراب إلى أن صار في أحسن تقويم، اذكر هذه المراحل بالترتيب.

٣ هل المراحل التي ذكرتها في السؤال السابق تتضمن خلق النفس والقلب والعقل، أم أنها خاصة بخلق الجسد؟ وضح ذلك مع الدليل.

٤ اشرح:

١. علاقة النفس بالجسد كما فهمتها.

٢. توصف النفس بأوصاف مختلفة، بحسب اختلاف أحوالها المتقابلة.

٣. دور العقل في حياة الإنسان.

٥ صحِّح العبارات التي فيها خطأ فيما يلي:

١. ما عُرِف عن تكوين الإنسان بشكل دقيق وموسع، نزر يسير من كثير لا تدركه عقولنا.

٢. نفس الإنسان تملك القدرة على الفجور والتقوى.

٣. الروح سر غيبي، اكتشف الإنسان في العصر الحاضر الكثير من أسراره.

٤. العقل مركز الدماغ والتفكير والنشاطات الذهنية الراقية، والقيادة والإدارة والسيطرة على البدن وأجهزته كلها

٥. يرسل القلب إشارات كهرومغناطيسية للدماغ، أكثر مما يرسل الدماغ إشارات للقلب ولهذه الإشارات تأثير متميز على الوظيفة المعرفية والعاطفية.

٦ علِّل ما يلي:

١. الإنسان أعقد مخلوق في الكون.

٢. توصف النفس بأوصاف مختلفة، بحسب اختلاف أحوالها المتقابلة.

٣. مصدر فهم النفس والعلم بمكنوناتها على الحقيقة هو الوحي الإلهي.

٤. الإدراك والاستيعاب والفهم العقلي المجرد للحقيقة لا يكفي وحده.

أعمال القلوب

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يشرح مفهوم أعمال القلوب، ويميزه عن غيره من أعمال الجوارح والتفكير.
- يوضح ارتباط العقيدة الراسخة بأعمال القلوب.
- يبين أن كل شخص متفرد بأعمال قلبه لا يشاركه فيها أحد.
- يعلل اختلاف الناس الذين بينهم مساواة في أعمالهم الظاهرة، في منازلهم عند الله تعالى.
- يعدد أعمال القلوب التي يستشعرها في داخله.
- يستنبط أثر صلاح القلب في الحياة الدنيا.
- يستقرئ الآيات والأحاديث للتعرف على أثر صلاح القلب في الحياة الآخرة.
- يكتشف التلازم بين الفلاح والنجاح والنجاة على الحقيقة وبين صلاح القلب.
- يستنبط أثر فساد القلب في الحياة الدنيا.
- يستقرئ الآيات والأحاديث للتعرف على أثر فساد القلب في الحياة الآخرة.
- يكتشف أن الخيبة والفشل والعذاب متلازمة مع فساد القلب.
- يحدد الوسائل التي تقوده لإصلاح قلبه؛ بتعظيم الله وحبه وخشيته ورجائه.

مفهوم أعمال القلوب

لنتدبر الآيات التالية:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

- أين موضع الإسلام لله تعالى، وأين موضع الإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع من الإنسان؟
- هل تعتقد أن إخلاص الدين لله أمر ظاهر أم أنه خفي بين الإنسان وربه؟ هل لذلك علامات؟ اذكر بعضها.
- هل يكون تعظيم الإنسان لحرمات الله تعالى بأعمال جوارحه - بدنه -؟ بيِّن رأيك واستدل بما يُقوِّي موقفك.
- هل يمكن أن نطلق على خفايا النفس واتجاهات القلوب وخواطرها وأفكار العقول وما تتبناه من عقيدة وقيم

ونيات أنها أعمال للنفس والقلب والعقل؟ ما مفهوم الأعمال وفق ذلك؟

ما المرادُ بأعمال القلوبِ؟

إن أعمال القلوبِ: هي تلك الأعمالُ التي يكونُ محلّها القلب، وترتبط به، وأعظمُها الإيمان باللّه عزَّ وجلَّ، والإخلاص له، واليقين والتصديقُ الانقياديُّ والإقرارُ، والمحبَّة التي تقع في قلب العبد لربِّه ومعبودِه، والخوف والرَّجاء والإنابة والتوكُّل والصبر والإخبات والإشفاق والخشوع.

ويقابلها أيضًا نقائضها أو أضدادها؛ من الكفر والكره والتكذيب، والشك، والنفاق والرياء والجزع والهلع، فكل ذلك من أعمال القلب.

نشاط إثرائي

ابحث في معنى الآية التالية:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة: ٥٥ – ٥٦].

تشير بعض كلمات الآيات إلى معانٍ قلبية ترتبط بها أعمال غير قلبية، حاول أن توضح الأعمال القلبية ومتعلقاتها من أعمال الجوارح، ثم بين الأهم في تحقيق درجات الإيمان.

علاقة العقيدة بأعمال القلوب

اكتشف من خلال الآيات التالية علاقة العقيدة بأعمال القلوب:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤ – ١٢٥].

ناقش

- هل تجد أن الآيات تربط بشكل ما بين الإيمان وأعمال القلوب؟ ما نوع هذا الربط إذا كان موجودًا؟
- ما أثر الإيمان في عمل القلب؟
- ما أثر عمل القلب في الإيمان؟
- ما أثر عمل القلب في النفاق والكفر؟
- استنتج علاقة العقيدة بأعمال القلب.
- هل هذه العلاقة علاقة فردية نفسية أم علاقة اجتماعية؟

اعرض ردودك وناقشها على ضوء قول النبي ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» [البخاري: ٥٢، ومسلم: ١٥٩٩]، وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» [رواه مسلم: ٢٥٦٤].

نتيجة

تؤكد آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ على الاعتناء بأعمال القلوب، لأنها من جملة أعمال الإيمان، بل إنَّها من أوَّل ما يَدخل في الإيمان، فالاعتقاد بالله تعالى يبنى عليه التصديق وهو المؤهل لحبِّ الله، وخشية الله، والتوكُّلِ على الله، والذي كلما زاد نتج عنه زيادة الإيمان.

وأما عدم الخشية وترك التوكل وضعف اليقين فكلها تؤدي لنقص الإيمان، وقد تصل بالإنسان للنفاق والكفر.

ولذلك فإنَّ دخول أعمال القلْب في الإيمان أوْلى من دخول أعمال الجوارح ومقدَّم عليها باتِّفاق العلماء.

تفكر في قول الله تعالى التالي وبيِّن المقصود منه:

﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات: ١٤ - ١٥].

استنتاج

فرقت الآيتان بين الإسلام الظاهر الذي يقوم على أعمال الجوارح والنطق، وبين حقيقة الإيمان وشروطها لتحقيق الإيمان، ورتبتا عمل الجوارح على عمل القلب، وهذا مما يَغفل عنه كثيرٌ من المسلمين.

ناقش

- ما حال الناس عامة في مجتمعك كما تراهم مع أعمال القلوب؟
- هل ترى أن المسلمين اليوم يقدمون أعمال القلوب على أعمال الجوارح أم العكس؟ اذكر مستندات لرؤيتك.
- ما الموقف الصحيح في الإسلام -كما ترى- من أعمال القلوب وأعمال الجوارح؟ ولماذا؟

.....

.....

.....

.....

.....

إذا دققت النظر في حال الناس مع أعمال القلوب، فإنك ستجدهم ثلاثة أصناف:

- منهم من يعتني بالأعمال الظَّاهرة ويجعلونها دأبَهم وقد يستكثرون منها، وإن لم يكونوا خالين من أصل أعمال القلوب، فتجدهم يصلون من غير اهتمام بالخُشوع وخضوع القلب لله، وربما تجنبوا المحرمات الظاهرة، لكنهم لم يطهروا قلوبهم من الحقد والكِبْر والعُجب؛ فيَعتنون بالأعمال الظَّاهرة، بينما قلوبهم مبتلاة، وهم لا يَنتبهون لذلك ولا يدركونه.
- ومنهم من صرَف اهتمامَه لصَلاح القلوب والاعتناء بأعمالها؛ من تَصحيح المحبَّة، والخوف والرَّجاء، والتوكُّل والإنابة، غير أنَّهم تركوا بعضَ ما يحبُّه الله من الأعمال الظَّاهرة؛ كالدَّعوة إلى الله، وتعليم النَّاس الخير، ومساعدة الآخرين، وغير ذلك.
- وقسمٌ توسَّطوا؛ فاعتنَوا بأعمال القُلوب كما اعتنَوا أيضًا بالأعمال الظَّاهرة، غير أنَّ لعمل القلب عندهم فضلًا؛ فهؤلاء هم الذين وفَّقهم اللهُ؛ فجمعوا بين عبوديَّة الظَّاهر وعبوديَّة الباطن، وهذا طريق السَّابقين الأولين.

لاحظ

ناقش

- ما الذي يرفع منازل الناس عند الله تعالى؟
- هل تساوي الناس في أعمال الجوارح من ذكر باللسان وصلاة وصيام، يوجب أن يكونوا في رتبة واحدة عند الله، أم أن هناك معيارًا آخر؟
- هل جربت التأمُّل في أسماء الله تعالى وصفاته والتعبُّد بمقتضى معرفتها؟
- هل تعتقد أن التعبُّد بمقتضى معرفة أسماء الله تعالى وصفاته والتأمُّل فيها من أعمال القلب أم من أعمال الجوارح؟ ولماذا؟

هل تعلم؟

التعبُّد باسم الله "العليم" على سبيل المثال: يَبعث على التَّقوى وحِفظِ الجوارِحِ من الوقوع في المعاصي، كما يَبعث على حِفظ القلب والخواطِر من وساوس النفس والشيطان.

نتيجة

يرتفع الناس عند الله تعالى بالتقوى والعمل الصالح، ورغم تساوي البعض من حيث الأعمال الظاهرة، إلا أنهم قد يتفاوتون في المنزلة؛ لأن الإيمان والتقوى وبقية أعمال القلب بينهم متفاوتة.

ومن أهم الأبواب التي ترفع منزلة المؤمن؛ التأمُّل في أسماء الله تعالى وصفاته والتفكر فيها، والتعبُّد لله بمقتضاها، والرَّبط بين عمَل القلب وعملِ الجوارح ربطًا تلازُميًا؛ حيث إن معرفتها تَبعث على التوكُّل والإنابَة والمحبَّة، والخوفِ والرَّجاء، وما يترتَّب على ذلك من أعمال الجوارح؛ من فِعل ما يحبُّه الله والمسابقة إلى فعله، وتَرْكِ ما يبغضه الله والبعد عنه.

نشاط إثرائي

اجمع عددًا من الأحاديث الشريفة التي تبين علاقة أعمال القلوب بالإيمان، وآثار تلك العلاقة على أعمال الجوارح.

قال العالم: والآن بعد أن صار عندنا فكرة جيدة عن علاقة أعمال القلب بالعقيدة، لنسأل أنفسنا ما هي أنواع أعمال القلب وما أهميتها؟

أنواع الأعمال القلبية وأهميتها

لأعمال القلوب أنواع كثيرة، لكنها ترجع إلى قسمين بحسب القلب الناشئة عنه، فالقلوب نوعان: **قلوب حية سليمة لينة صالحة، وقلوب ميتة مريضة قاسية خبيثة**، ولكل نوع من هذه القلوب أعمال تناسب طبيعتها وصفاتها، وقد ذكر القرآن بعض هذه القلوب، كما ذكر بعض الأعمال الصادرة عنها.

النوع الأول:

القلب السليم؛ وهو القلب المخلص لله تعالى والخالي من الكفر والنفاق والرذيلة والحقد والكبر، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

ويصدر عن هذا القلب جملة من الأعمال منها:

الإنابة: قال الله سبحانه: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: ٣٢، ٣٣] أي جاء الله بقلب تائب من ذنوبه، راجع مما يكرهه الله إلى ما يرضيه، منيب إلى ربه مقبل عليه.

الإخبات لله: يقول سبحانه: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤] تخبت: أي تخضع وتسكن للحق الذي جاءها.

الخوف والوجل من الله: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠]، فالقلب السليم دائم الخوف من ربه؛ مهما أتى من أعمال صالحة يخاف عدم قبول تلك الأعمال، أو أنها لا تخلو من تقصير.

الطمأنينة بذكر الله: يقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨]، فالقلب السليم يسكن ويستأنس بذكر الله سبحانه.

التقوى: قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢]، فإن التقوى من أعظم أعمال القلب السليم، وهي التي تدفعه إلى تعظيم أحكام الله تعالى وشرائعه.

النوع الثاني:

القلوب المريضة العمياء التي وصفها الله سبحانه بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦]، وبقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ١٠].

والأعمال التي تصدر عن القلوب المريضة العمياء كثيرة أيضًا، ذكر القرآن الكريم بعضًا منها، فمنها:

اللهو: قال سبحانه: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢، ٣]، فهي على عكس القلوب الحية التي هي دائمة الذكر لله سبحانه، فالقلوب المريضة غافلة عن الله تعالى وآياته الكونية أو القرآنية، مشغولة بأباطيل الدنيا وشهواتها، لا تعقل ما في الآيات من عظيم المعاني.

ارتكاب الإثم: يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ [البقرة: ٢٨٣]، فالذي يكتم شهادة الحق، يرتكب قلبه إثمًا عظيمًا.

التكبر: قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥]، فهذا قلب طبع الله عليه بالغفلة؛ لأنه استكبر عن توحيد الله وطاعته، وتجبَّر بكثرة ظلمه وعدوانه.

الزيغ: قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ﴾ [آل عمران: ٧]، فهذا قلب مال عن الحق وزاغ عنه إلى الفتن والكفر.

الإنكار: قال تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل: ٢٢]، فالقلب المنكر لوحدانية الله سبحانه لا يؤمن بالآخرة، ويعاند الحق ويستكبر عنه.

النفاق: يقول سبحانه: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٦، ٧٧]، فمن أعمال القلوب المريضة النفاق، حيث تتلون مع الظروف بحسب المصلحة، لا تدري أين تستقر وأين تذهب، قال النبي ﷺ: «مثل المنافق، كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة» (رواه مسلم برقم ٢٧٨٤)، فقلب المنافق غير مستقر، بل متردد بين جماعتين أو أكثر، وهو كما قال سبحانه: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء: ١٤٣].

قال العالم: فهذه جملة من أعمال القلوب السليمة والمريضة، وينبغي على كل مسلم أن يتفقد قلبه، وألا يهمله فيقسو؛ فيصدق فيه قول الله سبحانه: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦]، فالمؤمن يتفقد قلبه دائمًا، ويراعي فيه الأعمال الصالحة ليصل إلى سلامته، ويعلم أنه إن أهمله قسا وقد يصل به إلى الفسوق والنفاق والكفر.

قال عبد العليم: هذا الكلام مهم جدًّا، ولكن هلا شرحت لي خطوات عملية أتفقد بها قلبي؟

قال العالم: نعم، وإليك مجموعة من الآيات لتتفكر بها وتتدبرها:

قال الله تعالى:

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [الجاثية: ١ - ٤].

﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾ [الأعراف: ٢٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

ناقش

- ما هي أعمال القلب التي وردت في الآيات الكريمة؟
- ضع تعريفًا من فهمك لكل عمل من هذه الأعمال القلبية.
- ما الأعمال القلبية التي تعرفها ولم تذكرها الآيات السابقة؟
- ما الأعمال القلبية التي تستشعرها أكثر من غيرها؟

أعمال القلوب هي الأساس الذي تقوم عليه أعمال اللسان والجوارح، ولا قيمة لعمل ليس مبنيًّا على أساس له في القلب.

أعمال القلوب كثيرة، ومن أهمها: الإخلاصُ لله عز وجل، والقصد بالعمل وجه الله تعالى وما عنده من الثَّواب والجزاء، فلا يشوبه شيءٌ آخرُ وإن كان مباحًا، واليقينُ، والتفكُّر، واليقَظة، والبصيرة، والمحاسبة، والخشوع، والمراقبة، والوَرَع، والتوكُّل، والمحبَّة، والسرور بالله، ورجاؤه، والإنابة إليه والخوف منه، والزهد، والصَّبر على أوامر الله وعن نواهيه وعلى أقداره، والرِّضى به وعنه، والشُّكر، والسكينة، والغَيرة على حرمات الله، والحياء، والتَّوبة والاعتصام بالله... وغيرها.

الأعمال القلبيَّة في غاية الارتباط والاتِّصال، ولا يُغني بعضُها عن بعض، بل إنَّ بعضَها متوقِّفٌ على غيره، كاليقين الذي يقوم على التفكر، وهو أساس للإخلاص، وعلى الإخلاص تبنى بقية أعمال القلب، والعبدُ بحاجةٍ إلى أن يستكمِلَ دومًا ما فاته من أعمال القلب، وأن يربِّيَ قلبَه عليها.

نتيجة

نشاط

ضع خطة عملية لتراقب قلبك وتتعهده وفق ما فهمته من الفقرة الماضية

مثال: (سأتفكر في خلق الله؛ لأصل لليقين، سأتفكر في نعم الله عليّ؛ لأصل لاستشعار النعم وأشكرها، سأراجع نفسي وأخطائي؛ لأكون منيبًا لله...).

نشاط إثرائي

ابحث في كتاب رياض الصالحين عن:

- أحاديث شريفة تثري المعاني السابقة من أعمال القلوب التي وردت في الآيات الكريمة.
- أعمال أخرى للقلوب، وتعرف عليها من خلال الآيات والأحاديث الشريفة.

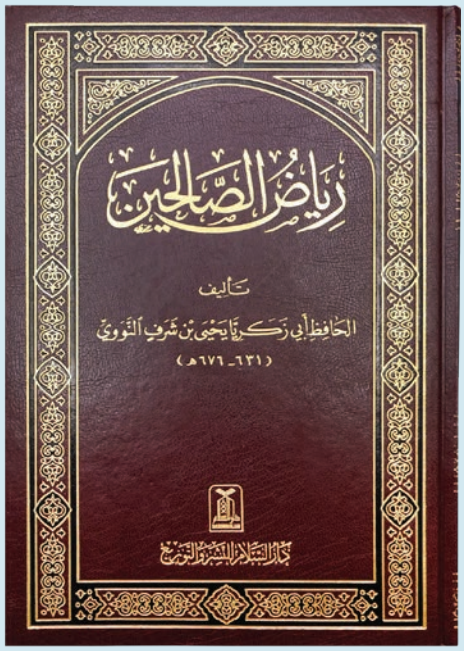

عبد العليم: ما أثر وثمرة صلاح القلب أو فساده في الدنيا والآخرة، هل تحدث القرآن الكريم عن ذلك؟

العالم: دون أدنى شك.

أثر صلاح القلب في الدنيا والآخرة

تدبر الآيات التالية:

﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾

[الشعراء: ٨٧ - ٨٩].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾ [الحج: ٥٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَا ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾

[المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٩ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢٠﴾ [الفتح: ١٨ - ٢٠].

ناقش

- ما أثر صلاح القلب في الحياة الدنيا كما تستنتجه من الآيات السابقة؟
- ما أثر صلاح القلب في الآخرة كما تستنتجه من الآيات السابقة؟

أعمال القلوب الصالحة أساس النجاة من النار والفوز بالجنة؛ فأصل التوحيد عبادة قلبية عليها قيام الأمر كله، والإخلاص شرط قبول العمل، والصابرون يوفون أجورهم بغير حساب، والتقوى سبب المراتب العالية في الجنة؛ فالنجاة في الآخرة لا يمكن أن ينالها العبد إلا بأعمال القلب الصالح.

وفي الدنيا فإن لأعمال القلب الصالح أثرها في شخصية الإنسان وخُلُقه وسلوكه وتأييد الله تعالى له؛ فالله مع الذين آمنوا وأخلصوا واتقوا وصبروا واجتهدوا في طاعة الله، ويحبهم وينزل عليهم السكينة والطمأنينة، ويهديهم، ويحفظهم، ويلهمهم الخير والتواضع، والرضى والقناعة، ويفتح لهم، ويعجل لهم مغانم وخيرًا كثيرًا.

نتيجة

ناقش

ادعم المقولة التالية بما يثبتها واقعيًا:

التربية الصحيحة هي التي تقدم العناية بقلب الإنسان والاهتمام به على الاعتناء بجوارحه.

من ثمرات صلاح القلب:

- لا يَفْتُر عن ذكر ربه، ولا يسأم من طاعته، ولا يأنس بغيره، ولا يرجع عن دينه والحق الذي اعتقده وخالط قلبه، لا بترغيب ولا بترهيب.
- إذا فاته فعل شيء من الطاعة وجد لذلك ألمًا أعظم مما يجده الحريص على المال إذا فقد شيئًا منه.
- يشتاق إلى الطاعة كما يشتاق الجائع إلى الطعام، والعطشان إلى الشراب.
- إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه في أمور الدنيا، ووجد في صلاته راحته ونعيمه، وقرّت بها عينُه وسُرَّ بها قلبُه.
- همه كله في الله، لا في شيء آخر من حظوظ الدنيا ومتاعها.
- يحرص على وقته ولا يضيِّع منه شيئًا؛ كحرص أصحاب الأموال على أموالهم.
- يهتم بتصحيح عمله وطلب قبوله، أكثر من اهتمامه بالعمل نفسه.
- ولعل أهم الثمرات والتي تعد العلامة الظاهرة الواضحة على صحة القلب وسلامته، أن يكون همه لله وحبه لله وعمله كله وجميع أفكاره في محبة الله ومرضاته، سليمًا من الدَّغَل والحقد والحسد والضغينة والبغضاء، يجمع الحسنات كما يجمع أصحاب الأموال أموالهم، فلا تسمع من صاحب هذا القلب ولا ترى إلا خيرًا؛ دعوة صالحة، وكلمة هادية، وتوجيهًا كريمًا.

نشاط إثرائي

هل يمكنك أن تضيف إلى الثمرات السابقة شيئًا؟

أثر فساد القلب في الدنيا والآخرة

عبد العليم: تحدثنا عن أثر وثمرة صلاح القلب، فما هو أثر فساده في الدنيا وفي الآخرة؟

العالم: قد حدثنا القرآن الكريم عن ذلك بأوضح بيان، فلنتدبر ونتفكر.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

[الأعراف: ١٧٩].

﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

[النحل: ٢٢-٢٣].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

[النحل: ١٠٧ – ١٠٩].

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحج: ٥٣].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون: ٣].

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥﴾ [الصف: ٥].

وفي الحديث الشريف: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين؛ على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه» (رواه مسلم١٤٤).

الكوز: نوع من الآنية.

مُرْبَادًّا: الرُّبْدَةُ: لوْن بَيْنَ السَّواد والغُبْرة.

مُجَخِّيًا: مائلاً لا يثبت فيه شيء.

ناقش

- ما أثر فساد القلب في الحياة الدنيا كما تستنتجه من الآيات السابقة والحديث؟
- ما أثر فساد القلب في الآخرة كما تستنتجه من الآيات السابقة والحديث؟

فساد القلوب هو السبب الرئيس لدخول النار والخسران في الآخرة فضلًا عن الدنيا؛ ورأس فساد القلب الكفر والشرك بالله تعالى، لذلك لا يُقبَل معه عمل، ولا يغفره الله لمن مات عليه، فهو عمل قلبي يفسد الأمر كله، ويحول القلب إلى بؤرة من الخبث؛ استكبارًا وسخطًا وفسقًا وفجورًا ورياءً وإقبالًا على الفتن الظاهرة والباطنة، فيخسر الإنسان آخرته، ويعيش دنياه فاقدًا السعادة وراحة النفس والقلب والبال.

وذاك يطبع شخصية الإنسان وخُلُقه وسلوكه، فيتوجه إلى شهوات الدنيا ولذاتها، فيعمل لها ويجمع لها، ولا يفقه حقائق الكون والوجود، فينكرها قلبه ويزيغ عن الحق رغم جلائه.

نتيجة

ناقش

ناقش المقولة التالية بما يثبتها واقعيًا أو يدحضها:

تتهاون المجتمعات -في عصرنا الحاضر- بتربية النفس والقلب والعقل التربية الصحيحة، بينما تهتم بتربية الجسد والعناية به.

نشاط

لماذا في نظرك يعاقب الله الكافرين والمنافقين ولا يقبل منهم أي عمل فيه فائدة وخير؛ كالمخترعات التي تنفع البشرية، مساعدة الفقراء، علاج المرضى... إلخ؟

بيِّن موقفك مستدلًا بدلائل العلم الشرعي والمنطق والحق.

من نتائج فساد القلب:

- لا يذكر الله إلا قليلًا، ولا يهتم بطاعته ولا ينتهي بنهيه، ويأنس بغيره.
- ليس عنده حق ثابت، بل الحق متغير بتغير المصلحة التي تحقق مراده.
- همه كله في حظوظ الدنيا ومتاعها، ويركز اهتمامه في العمل نفسه، ولا قيمة عنده لتصحيح العمل ولقبوله.
- يضيِّع وقته في الشهوات والأهواء وجمع المال وتحقيق الجاه والشهرة.
- لعل أهم النتائج -والتي تعد العلامة الظاهرة الواضحة على فساد القلب- أن يكون همه وأمله الحياة الدنيا، فعمله كله وحبه وجميع أفكاره وهواجسه فيها ومن أجلها، فلا تسمع من صاحب هذا القلب ولا ترى منه خيرًا إلا بمقدار ما يفتح له ذلك سبيلًا إلى دنياه.

نشاط

هل تذكرك تلك النتائج بقصص سمعتها في واقعك؟ اذكر بعضها.

هل يمكنك أن تضيف إلى تلك النتائج شيئًا؟

هل تستحضر مثالًا لأشخاص أو أقوام في الماضي تركوا الحق لفساد قلوبهم؟
من مفاتيح الجواب: (ما ذكره الله في قصص القرآن من أقوام الأنبياء).

هل تستحضر مثالًا لأشخاص أو أقوام في الحاضر تركوا الحق لفساد قلوبهم؟

الوسائل التي تؤدي إلى صلاح القلب وتعظيم اللّٰه وخشيته

العالِم: يحتاج قلبُ الإنسانِ إلى تعاهُدٍ وتربيةٍ وإصلاحٍ بشكل مستمر طول الحياة؛ لأنَّه إذا استقامَ القلبُ استقام حالُ الإنسانِ وصلَحت أعمالُه؛ فكانت الحاجةُ ماسَّةً إلى التعرُّفِ على ما يُصلِح القلوبَ.

عبد العليم: فما الوسائل والطرق التي تساعد على صلاح القلب والتزامه بما يرضي اللّٰه تعالى؟

العالِم: ذاك باب واسع يختلف من شخص لآخر، لكن هناك وسائل عامة يمكن أن تعين كل مؤمن إذا أخذ بها، وقد أنزل اللّٰه تعالى في كتابه آيات تبين لنا طريقة إصلاح القلب.

فلنتدبر الآيات الكريمة:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨].

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥-١٢٦].

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾

[آل عمـران: ١٩٣].

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبـة: ١٢٤].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾

[الأعـراف: ٢٠٠ – ٢٠١].

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبـة: ٧١].

ناقش

- ما الوسائل التي تستنتجها من الآيات الكريمة لإصلاح قلبك؟
- هل القلوب تنطبع على الاستقامة والسلامة إذا تعهدها الإنسان لمرة واحدة، أم أنها تحتاج للتعهد الدائم والمستمر، والمجاهدة مدى الحياة؟ لماذا؟

الشعور بالمرض أول خطوات العلاج، والأمراض القلبية كذلك، فالشعور دليل على حياة قلبك، إذ الميت لا يشعر بشيء.

الذي شرع لك مجاهدة نفسك، وعدك بالعون والتوفيق إذا بذلت وسعك في ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

هل تعلم

طريق إصلاح القلوب امتثال ما أمر الله به وما شرع لك، واجتناب ما حرم عليك، واجتناب ما يشتبه عليك، قال ﷺ: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» [البخاري:٥٢]؛ فصلاح القلب سببه التقوى والورع، فمن كان تقيًّا يخاف الله، ويشعر بمراقبة الله تعالى في السر والعلن، لن يقدم على ما يعلم أنه سيعاقب عليه في الآخرة، ومن امتلأ قلبه بمخافة الله، جاهد نفسه وداوم على محاسبتها ومراقبتها؛ فيحب ما يحبه الله، ويكره كل ما يكرهه الله.

فتقرب إلى الله تعالى وارغب في مرضاته، وأقبل عليه واخشع بين يديه وتأدب بأدبه، وأحبه وأحب رسوله ﷺ، وتعلم سنته واعمل بها يصلح قلبك، ولا تيأس ولا تقنط، بل أحسن ظنك بربك تعالى، وتوكل عليه في إصلاح قلبك؛ فإن هذا من أعظم أنواع التوكل، ومن طلب الهدى في غير ذلك أضله الله تعالى.

نتيجة

من طرق الوصول إلى إصلاح القلب:

- الشعور بالحاجة إلى الإصلاح.
- الإقبال على الحق وحبه والانشراح له.
- إجابة دعوة الحق والازدياد من الإيمان.
- الحرص على ذِكْرِ الله، وقراءةِ القرآن، ومجالسة الصَّالحين.
- تعويد النفس على أعمال البر والصلاح.
- التوجُّهُ الخالص لله تعالى، بحيث لا يكونُ قلبُ المرءِ متعلِّقًا إلا بربِّه ومعبوده وخالقه عزَّوجلَّ.

وإذا كان الإنسان يفتقد أيًّا من هذه الأمور، فلابد له من تدريب نفسه وتربيتها على استكمالها.

نشاط

هل تعتقد أن هناك أمورًا أخرى ينبغي الحرص على تحققها عند الإنسان ليستطيع العمل على إصلاح قلبِه؟ اذكرها.

وبالمقابل فإن هناك طرقًا ووسائل تكون سببًا لمرض القلب وفساده، تدبر الآيات التالية:

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤، يس: ٤٦].

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ – ٦٧].

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: ١٤٦].

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٣ – ١٤].

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [إبراهيم: ٣]

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الأعلى: ١٠ – ١٢].

ناقش

- ما أسباب فساد القلب التي تستنتجها من الآيات الكريمة ؟
- هل مرض القلوب الفاسدة باختيار من أصحاب تلك القلوب، أم أن مرضهم واقع عليهم بلا اختيار منهم؟ ما دليلك على ما تقول؟

كما أن الإنسان يصل بالمجاهدة إلى إصلاح قلبه، فإنه يفسده عندما يستعمل الوسائل التي تفضي إلى الفساد والضلال، ومن أهمها:

- حب الدنيا والعيش من أجلها، والتعلق بها.
- إبعاد النفس عن الشعور بمراقبة الله تعالى في السر والعلن.
- الإعراض عن الحق وجحوده رغم معرفته.
- الاستكبار وتكذيب من يعرض الحق.
- الصد عن سبيل الله تعالى والعمد إلى السبل المعوجة.
- تجنب النصح والإعراض عنه.
- القصد إلى معصية الله ورسوله والإصرار عليها؛ فأعمال الفجور تثمر الضلال، وكلما ازداد المرء منها ازداد ضلالًا.
- الفضولُ والزيادة المفرطة من المباحات؛ كالفضول من الأكل، والشُّرب، والنَّوم، والكلام، وغيرها؛ فكُلُّ شيءٍ إذا زاد من هذه الأشياءِ، فإنَّه يؤثِّرُ على صاحبِه بالفسادِ.

فإذا كان الإنسان يعاني من واحدة من هذه الأمور، فلابد له من تربية نفسه ومجاهدتها للتخلص منها.

نتيجة

هل تعتقد أن هناك أمورًا أخرى ينبغي الحرص على التخلص منها ليستطيع الإنسان العمل على إصلاح قلبِه؟ اذكرها.

التقويم

١ عرِّف ما يلي:

١. عمل القلب

٢. عبادة القلب

٣. الإخلاص لله تعالى

٤. التفكر في أسماء الله عز وجل

٥. المحبة لله والسرور به

٦. الاعتصام بالله

٧. الخشوع مع المراقبة

٢ ميِّز بين المعاني التالية:

١. يُقِيمُونَ الصَّلاةَ، ويصلُّون.

٢. يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، ويزكُّون.

٣ كيف تستطيع الربط بين الإيمان وعبادة القلب، وبين الكفر وفسوق القلب وفجوره؟

٤

قارن بين إسلام الظاهر وإسلام القلب مستعينًا بقوله تعالى: ﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات: ١٤ - ١٥].

٥ علِّل ما يلي:

١. اختلاف منزلة بعض الناس في الآخرة، رغم تساويهم من حيث الأعمال الظاهرة.

.....

.....

.....

٢. الأعمال القلبيَّة في غاية الارتباطِ والاتِّصال، ولا يُغني بعضُها عن بعضٍ.

.....

.....

.....

٣. التربية الصحيحة هي التي تقدم العناية بقلب الإنسان وتركز على الاهتمام به.

.....

.....

.....

٤. يهتم المؤمن بتصحيح عمله وطلب قبوله أكثر من اهتمامه بالعمل نفسه.

.....

.....

.....

٥. ليس عند الإنسان فاسد القلب حق ثابت، بل الحق متغير بتغير المصلحة التي تحقق مراده.

.....

.....

.....

٦ أثبت بالأدلة المناسبة أن النجاة في الآخرة لا يمكن أن ينالها العبد إلا بأعمال القلب الصالحة فهي أساس النجاة من النار والفوز بالجنة، وأعمال الجوارح مهمتها البناء على ذلك لزيادة الرفعة والدرجات.

٧ وازن بين نتائج صلاح القلب ونتائج فساد القلب.

٨ عدِّد بعضًا من الأمور التي ينبغي الحرص على تحققها عند الإنسان؛ ليستطيع العمل على إصلاح قلبِه.

٩ عدِّد بعضًا من الوسائل التي تفضي إلى فساد القلب وضلاله.

أعمال الجوارح انعكاس لما في القلوب

أهداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يتحقق من صلاح قلبه بتقويم الأقوال التي تصدر عنه.
- يراجع مدى صلاح قلبه من خلال انعكاسه على أفعال جوارحه.
- يقوّم تفكيره بربطه بالعقيدة وخشية الله وحبه.
- يلتزم عباداته عامة.
- يركز جلَّ اهتمامه على عبادات القلب والعقل والنفس.

أهمية القلب

جاء موعد اللقاء الجديد بين عبد العليم والعالم الجليل.

وصل عبد العليم إلى مسجد المركز حيث يلتقي مع العالم فوجده في انتظاره، وبعد تبادل السلام والتحيات والدعاء، سأل الشيخُ عبدَ العليم عن استحضاره لما كان من حديث بينهما فيما مضى، فأجابه بأنه يستحضر كل معنى وفكرة، وربما أكثر كلمات اللقاءين وعباراتهما، ولايزال يفكر بما مضى من حوار، وأردف قائلًا: وأنا في انتظار الحديث عن علاقة أعمال الجوارح واللسان بأعمال القلوب.

العالم: لنبدأ بفكرة موجزة عن الموضوع، ثم نفصل بعض التفصيل فيه.

للقلب أهميَّة كبيرة؛ فهو سائقُ النَّفس وقائدُها؛ ولذا إذا قام بالقلب معنى لزم ضرورةً أن يتحرَّك البدَنُ بموجب ذلك من الأقوال الظَّاهرة والأعمالِ الظَّاهرة، فما يَظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجِب ما في القلب ولازمه، ودليلُه ومَعلوله، كما أنَّ ما يقوم بالبدَن من الأقوال والأعمال له أيضًا تأثير فيما في القلب؛ فكلٌّ منهما يؤثِّر في الآخَر، لكنَّ القلبَ هو الأصلُ والبدنَ فرعٌ له، والفرع يستمدُّ من أصله، والأصل يَثبُت ويقوى بفرعه؛ كما في الشَّجرة التي ضُرب بها المثَلُ لكلمة الإيمان قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤- ٢٥]، وهي كلمةُ التوحيد، والشجَرةُ كلَّما قويَ أصلُها وعرق وروي قويَت فروعُها، وفروعها أيضًا إذا اغتذَت بالمطَر والرِّيح أثَّر ذلك في أصلها، وكذلك الإيمان في القلب والإسلام علانية، ولمَّا كانت الأقوال والأعمال الظَّاهرة لازمةً ومستلزمة للأقوال والأعمال الباطِنة كان يستدلُّ بها عليها" [مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٥٤١)].

علاقة أقوال الإنسان بقلبه

- هل شاهدت إنسانًا يتكلم كلامًا مفهومًا أثناء نومه؟
- ماذا يتكلم الإنسان أثناء زوال التخدير عنه؟
- هل سمعت كلام إنسان أثناء سكرات الموت؟ ماذا كان يقول؟
- هل وجدت صلة بين ما تعرفه عن حقيقة ذلك الشخص والكلام الذي كان يتكلم به؟
- هل رأيت إنسانًا تعرفه يتكلم وهو في حالة غضب شديد؟
- ما علاقة الكلام الذي يخرج من فمه مع حقيقة ذلك الشخص؟

تدبر الآيات التالية:

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

[البقرة:٢٢٤ - ٢٢٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾

[البقرة: ٢٦٤].

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾

[المائدة: ٨٩].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ٥٣ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٥٤ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥﴾

[القصص: ٥٢ - ٥٥].

﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥﴾

[الأحزاب: ٥].

نناقش

- لماذا فرَّق القرآن بين اللغو والخطأ وما يتعمده الإنسان ويقصد إليه؟
- نسب القرآن الكلام المتعمد للقلوب، كيف تفهم ذلك؟
- أين مكمن الكلام الذي ينطقه اللسان؟
- ما الرابط برأيك بين اللاشعور الذي يتحدث عنه علماء النفس والتربويون وبين القلب الذي تحدثت عنه الآيات الكريمة؟

هل تعلم؟

كل العقود كلام، والزواج كلمة، والطلاق كلمة، والرجعة كلمة، واليمين كلمة.

وحصائد الألسنة قد تردي صاحبها وتكون سببًا لكب الناس على وجوههم في النار.

نتيجة

أعمالُ القلوبِ هي الأصلُ، وما يصدر عن الإنسان من أقوال ظَّاهرة فرعٌ عنها، فالظَّاهرُ والباطنُ متلازمان، ولا يكونُ الظَّاهرُ مستقيمًا إلَّا مع استقامةِ الباطن، وإذا استقام الباطنُ فلا بدَّ أن يستقيمَ الظَّاهرُ؛ وحتى لو اجتهد الإنسان في إظهار الطيب من القول مما لا يحقق التوافق بين الظاهر والباطن فإنه لا ينفعه، ولابد بعد حين أن يظهر ما في الباطن؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يكون مُمَثلًا كل وقته وفي كل حال، فإذا كانت أقواله تخالف حقيقة ما في نفسه فسرعان ما يقع في مواقف تكشف ما في قلبه.

تفكر في النصوص التالية في ضوء النتيجة السابقة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾

[الصف: ٢ – ٣].

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣﴾

[المنافقون: ١ – ٣].

قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت...» [البخاري: ٦٤٧٥].

عن معاذ بن جبل، قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت» ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل» قال: ثم تلا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧] ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه»؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد» ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله»؟ قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: «كُفَّ عليك هذا»، فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» [رواه الترمذي: ٢٦١٦، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ].

ماذا تستنبط من الآيات والحديث؟

نتيجة

ينبغي للمؤمن أن يضبط لسانه ويتقي الله فيه؛ فلا يكذب، ولا يدعي لنفسه ما ليس فيه وما لم يعمله، ولا يخالف شرع الله بكلمة ولو صغرت، ولا يكون كالمنافقين الذين تخالف أقوالهم ما في قلوبهم، فالإنسان مسؤول عن كل كلمة ينطق بها، لذلك عليه أن يعين قلبه بمنطق لسانه، ويجعل من لسانه معبرًا عن قلبه الذي يفوح منه الإيمان واليقين.

نشاط إثرائي

قارن بين المعاني التي تضمنتها الآيات الكريمة من سورة البقرة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة: ٦ – ٢٠].

﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤ – ١٣٤].

(يمكنك الاستعانة بما تشاء من كتب العقيدة والتفسير المعتمدة).

علاقة أفعال الإنسان بأعمال قلبه

تدبر الآيات التالية من سورة التوبة التي أعطت هذا الموضوع حيزًا كبيرًا منها:

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [التوبة: ٨٨].

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

[التوبة: ٩٩ – ١٠٦].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

[التوبة: ١١١ – ١١٢].

لاحظ

رتبت الآيات قبول أعمال الجوارح على الإيمان وعمل القلب، كما أن عمل الجوارح دون عمل القلب صنفته الآيات ضمن أعمال النفاق.

ناقش

ناقش من خلال صريح الآيات:

- **هل تغني أعمال القلوب عن أعمال الجوارح؟ بين موقف القرآن من ذلك؟**
- **عند تعارض أعمال القلوب مع أعمال الجوارح أيهما المعوَّل عليه؟ ما مستندك في ذلك؟**
- **وفق الآيات الكريمة ما تقويمك للمقولة التي تَرِدُ على ألسنة كثير من الناس: "ليست العبرة بالصلاة والصيام والزكاة والحج، ولكن العبرة بصفاء القلب".**
- **ما طبيعة أعمال القلب عند إنسان يرتكب الموبقات ويسير وراء الهوى؟**
- **ما ردك على من يرى أن الصلاة والصيام والزكاة والحج كافية لدخول الجنة، رغم الموبقات والسير وراء الهوى.**

ترتبط أعمال الجوارح بأعمال القلوب التي هي أفْرَضُ على العبد من أعمال الجوارح، لأن الظاهر والباطن متلازمان، ولا يكونُ الظَّاهرُ مستقيمًا إلَّا مع استقامة الباطن، وإذا استقام الباطنُ فلا بدَّ أن يستقيمَ الظَّاهرُ؛ وإذا كان القلب سليمًا ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت أفعال الجوارح كلها، فيجتنب صاحبه المحرمات ويتوقَّى الشبهات حذرًا من الوقوع في المحرمات.

أما إذا كان القلب فاسدًا، قد استولى عليه هواه بما يكرهه الله، فسدت أعمال الجوارح كلها، وانبعث للمعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب. واختلال العبادات القلبية ربما هدم العبادات التي تتعلق بالجوارح؛ فمَن أتى بعمَل الجوارح غافلًا عن عمَل القلب كان ضالًّا أو مقصِّرًا بحسب نوع تَرْكِه لعمل القلب. فبعمل قلبه قبل جوارحه يدخل الإنسان في الإسلام، ويتميَّز المؤمن عن المنافق، فعمل القلب هو رُوح العبوديَّة ولبُّها، فإذا خَلا عمَل الجوارح منه كان كالجسد الميت بلا رُوح، وهذا ليس مَعناه الاقتِصار على عمل القلب دون عمَل الجوارح؛ فلو تمزَّق القلب بالمحبَّة والخوف، ولم يتعبَّد بالأمر وظاهر الشَّرع لم ينجِه ذلك من النَّار، كما أنَّه لو قام بظَواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقةُ الإيمان لم يُنجِه من النار؛ فنقص أحدهما يفضي إلى نقْص الآخر؛ والتربية الصحيحة هي التي تُعْنَى بقلب الإنسان وتُقدِّمُه، وتُعْنَى كذلك بجوارحه.

نتيجة

ولنسأل أنفسنا:

بماذا تتميز الأعمال القلبية عن أعمال الجوارح؟

هل يمكن أن يكتفى بأحدهما دون الآخر؟ لماذا؟

تدبر الآيات التالية:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾﴾

[النساء: ١٢٢ – ١٢٥].

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: ٧٥ – ٧٦].

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان: ٢٢ – ٢٤].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾

[الزلزلة: ٧ – ٨].

تفكر كذلك في قول النبي ﷺ:

«لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المَرْءَ لا يحبه إلا لله، وحتى أن يُقْذَفَ في النار أَحَبُّ إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» [البخاري: ٦٠٤١].

وقوله ﷺ:

«ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء» [رواه الترمذي: ٢٠٠٢، وقال هذا حديث حسن صحيح].

ناقش

- **ورد عن الإمام ابن تيمية: "من أصول الإيمان وقواعد الدين الأمور الباطنة من العلوم والأعمال؛ مثل محبة الله تعالى ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين له، والشكر له، والصبر على حكمه، والخوف منه والرجاء له... وهي واجبة على جميع الخلق، والأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها".**
- **كيف تفهم هذه المقولة؟**
- **برأيك أيهما الذي يستمر مع الإنسان على كل حال، عمل القلب أم عمل الجوارح؟ هل يمكنك أن توضح كيفية الاستمرار أو المحدودية؟**

ناقش

رجلان يقفان في صف صلاة واحد، أحدهما خاشع مستحضر في نفسه عظمة الله تعالى مستحٍ من تقصيره يخاف ألا تقبل منه صلاته، والآخر شارد أو يرى لنفسه مقامًا وفضلًا، وهو مستكبر بصلاته يظن أنه سبق بها. وازن بينهما وبين ما لكل منهما عند الله تعالى مع بيان دليلك.

ناقش

على ضوء ما سبق كله:

- أيهما أشق على النفس، أعمال القلوب أم أعمال الجوارح؟ ولماذا؟
- أي الأعمال يؤهل الإنسان لرضا الله تعالى وقبوله؟ وأي العمل أكثر ثوابًا عند الله؟ أيِّد رأيك بالدليل.

نتيجة

- العبادات القلبية هي أصل العمل وأساسه، وأعمال الجوارح فرع عنها.
- أعمال القلوب محرِّكةٌ ودافعةٌ لأعمال الجوارح؛ فكلَّما عظُم الإيمانُ والتوحيدُ وعظُمت محبَّةُ الله في القلب، كان ذلك دافعًا للعبادات الظَّاهرةِ، فمن عرف الله تعالى وأحبه أطاعه.
- الأعمال القلبية أساس النجاة من النار والفوز بالجنة ونيل المراتب العليا فيها، ولا وقت يحدها فهي يمكن أن تكون مستمرة مع المؤمن في كل حال، وأثرها أجمل في النفس، وقد تكون جَنَّةً مُعَجَّلَة، بينما أعمال الجوارح لها وقت معلوم وأحوال معلومة.

وفق ما توصلت إليه من نتائج فيما سبق ناقش مضمون الآيات التالية:

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١ – ٨٤].

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾

[طـه:١١٢– ١١٣].

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الـروم: ٤٣ – ٤٥].

مـا الرابط بين ما سبق وحديث رسول الله ﷺ: «لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا» [البخاري: ٢٧٨٣، مسلم: ١٨٦٤]؟

الأصل أن للقلب عباداته، وللجوارح عباداتها، ولا يغني أحدهما عن الآخر، ولكن ربما تقوم أعمال القلوب أحيانًا مقام أعمال الجوارح إذا وُجدت النية، فأعمال القلوب ترفع العمل الصغير من أعمال الجوارح؛ لأن فيها مشقة مخالفة نفسه وهواه وشيطانه، وربما هبطت بالعمل الكبير من أعمال الجوارح إذا أطاع النفس والهوى والشيطان، واختلال العبادات القلبية ربما هدم العبادات التي تتعلق بالجوارح؛ كبطلان العمل الذي خالطه الرياء وجانبه الإخلاص.

نتيجة

إثراء

في ضوء ما سبق قَوِّم المقولة التالية:

"الأمورُ الباطِنة والظَّاهرة بينها ارتِباطٌ ومُناسبة؛ فإنَّ ما يقوم بالقلب من الشُّعور والحال يوجِب أمورًا ظاهرة، وما يَقوم بالظَّاهر من سائر الأعمال يوجِب للقلب شعورًا وأحوالًا".

قم بتلاوة سورة التوبة بتدبر وتفكر، واستخرج منها الآيات التي تربط بين أعمال القلب وأعمال الجوارح وصنفها في جدولين: ١. ما فيه التقوى والارتقاء ٢. ما فيه الفسق والفجور.

قال عبد العليم: جزاك اللّه خيرًا على ما أفدتني به، فقد تكونت لدي فكرة متكاملة عن علاقة أعمال الإنسان الظاهرة والباطنة فيما بينها، وصار لدي معيار للموازنة والمفاضلة بين الأعمال.

ولكن يراودني سؤال -أظن أنه مهم- عن مكانة التفكير في هذه المنظومة؛ ما هو موقعه؟ وهل يمكن أن نعده من العبادات؟

قال العالم: لا يرتاب من يعرف الإسلام حق المعرفة أن التفكر أحد أعمال القلوب، وقد ذكرنا ذلك فيما سبق، فإذا كان فيما ينفع الإنسان فلا بد أنه عبادة، ولكن للتفكر منزلة ومكانة لا ينازعه فيها عمل آخر من أعمال القلوب، ولنحاول أن نتفهم الأمر.

علاقة تفكير الإنسان بأعمال قلبه

جاءت آيات القرآن الكريم آمرة بالتفكر، منبهة على فضله، مثنية على أهله، متوعدة من ينأى عنه.

تدبر الآيات التالية:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢١ – ٢٤].

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحاقة: ٤٨].

ناقش

- ماذا تفهم من أن الله تعالى ضرب الأمثال في القرآن الكريم لعلَّ الناس يتفكرون؟
- لماذا برأيك أَتْبَع القرآنُ الدعوةَ إلى التفكر بذكر أسماء الله الحسنى التي تفيد معانٍ وصفات لله تعالى؟
- جعل الله تعالى القرآن تذكرة للمتقين، ماذا تفهم من أنه تذكرة؟ ولماذا هو تذكرة للمتقين؟
- من الناس من يرفض التفكر في الدين وينظر باستغراب لمن يهتم بهذه القضية، ما تقويمك لهذا الاتجاه، ولماذا؟

التفكر: تقليب الفكر في معاني الأشياء لإدراك المطلوب، أي النظر والتدبر لطلب المعاني، وترتيب أمور في الذهن يتوصل منها إلى مطلوب علمًا أو ظنًا.

والتفكر أصل الخير والشر لأنه قد يقود للنجاة، وقد يودي بصاحبه إلى المهالك، وهو مبدأ الإرادة والعزيمة، كما هو مبدأ الزهد وكذلك الحب والبغض وغيرها، والإنسان عادة يَعْمَلُ بعد أن يُعْمِلَ فكره.

وقد دعا القرآن الكريم الإنسان إلى التفكر في آيات الله وفي مخلوقاته وتدبرها؛ ليستدل بها على وجود الله وعظيم قدرته، وليعتبر ويتعلم ويتعظ.

هل تعلم

تابع التدبر في الآيات التالية:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩ – ١٨٥].

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

[الروم:٨ – ٩].

﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾

[سبأ: ٤٦].

نشاط

كثير من الناس - ومنهم كثير من العلماء في اختصاصات ومجالات شتى - يفرضون على عقولهم وتفكيرهم حدود ميدان الاختصاص والعمل، وربما يجولون في تفكيرهم في شيء من الحياة الاجتماعية أو الخاصة بهم، ثم يتجاهلون كل حديث أو دعوة للخروج عن هذه القيود، ولا يسمحون لعقولهم أن تتجاوز في التفكير إلى مجالات أخرى؛ كوظيفة الإنسان في هذا الوجود، وكيف وُجِد، ولماذا، وماذا بعد هذه الحياة التي نعيشها، بل ربما لا يكلف بعضهم نفسه حتى بثقافة عامة خارج اختصاصه ومهنته.

ما تقويمك لتلك الظاهرة الاجتماعية؟

ما معيار النقد الذي اعتمدته؟ ولماذا؟

هل طرق سمعك بعض أقوال علماء المسلمين التالية:

- ابن عيينة: "الفكرة نور تدخله قلبك".
- عامر بن عبد القيس، عن أصحاب رسول ﷺ: "إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر".
- قيل لإبراهيم بن أدهم: إنك تطيل الفكرة، فقال: "الفكرة مخ العقل".

إثراء تخيلي

ماذا لو:

- تفكر طبيب ملحد في قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١]، ثم نظر في مبهرات خلق الإنسان وتركيبته الفريدة دون قيود تحد عقله وكِبر يغلق قلبه؟
- تفكر شخص ينكر نبوة محمد عليه الصلاة والسلام في جوانب شخصيته وسيرته ومعجزاته وخاصة إعجازات القرآن الكريم بتجرد وإنصاف دون تحيز مسبق؟
- أطلق الإنسان لتفكيره الحرية في رحاب الكون، بعد أن نظف قلبه وعقله ونفسه من كل قيود الجهل والعصبية والكبر والحقد؟
- كانت عقيدة الإسلام هي المقومة لتفكير الإنسان – كل جنس الإنسان - وقوله وعمله؟
- وجَّه الإنسان تفكيره وقوى قلبه لله تعالى وللفوز بالآخرة، ما نتيجة ذلك في الدنيا؟

نتيجة

التفكر من أثمن ما تُنْفَقُ فيه الأنفاس، وتُبْذَل فيه الأوقات، وتشتغل به العقول؛ سواء أكان ذلك في التفكر بآيات الله عز وجل وعجائب صنعه، أم في طلب الإنسان للمعاني الموصلة إلى الحقيقة والعلم، واكتشاف العقيدة الصحيحة التي تتوافق مع الحق والواقع؛ ليجعل منها الإنسان بعد ذلك ضابطًا للتفكير. يؤدي التفكر بالإنسان إلى الذكرى ويبنى عليه العمل كله، فينتقل إلى تعلق القلب والهمة بالله عز وجل دون شيء من مخلوقاته، وإلى النظر في أحوال النفس، أو في غير ذلك من الأمور النافعة التي ينبغي للعبد أن يتبصر بها، وأن يتفكر فيها، ولذلك أمر القرآن الكريم بالتفكر، ونبّه على فضله، وأثنى على الذين يتفكرون، وتوعَّد الذين لا يُعْمِلُون عقولهم وينأون عن التفكير الذي يفيدهم.

زخر القرآن الكريم بالآيات التي تصرح أو تشير إلى علاقة التفكر بالعقيدة، وكذلك الأحاديث في هذا الموضوع كثيرة، ابحث عن تلك الآيات والأحاديث واختر ثلاث آيات وثلاثة أحاديث واضحة المعنى بالنسبة لك وشاركها مع أصدقائك. (يمكن أن تستعين بالفهرس الموضوعي للقرآن الكريم، وفهارس موضوعات كتب الحديث، وبكتاب أعمال القلوب للدكتور خالد السبت، وكتاب مدارج السالكين لابن القيم).

إثراء

قال عبد العليم: نتائج التفكر كبيرة لم أتوقع مداها، لكن لماذا يغفل عنه كثير من الناس؟!

قال العالم: بسبب التربية المجتمعية التي تتباعد عن تربية الإسلام التي ربى رسول الله ﷺ أصحابه الكرام عليها، ولانشغال الناس بمعايشهم، وللتقصير في الدعوة إلى الإسلام، ولأسباب أخرى. فالناس يجهلون قضايا هامة ينبغي ألا يجهلها المسلم.

قال عبد العليم: هل يمكن أن تحدثني عن ذلك -ولو باختصار- فتفتح لي الباب حتى أتابع البحث بعد ذلك؟

قال العالم: على الرحب والسعة، وليتك توصل هذا الموضوع وما تحدثنا به من قبل إلى أصدقائك ومعارفك من المسلمين وغيرهم؛ فالمسلم يزداد منه ليرتقي في إسلامه وإيمانه، وغير المسلم قد تصله كلمة أو فائدة تنقله إلى رحاب الحق والدخول في الإسلام.

عبادات يغفل عنها الناس

تدبر وتفكر:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ١ – ٣].

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣–٦٤].

جرب ثم قارن ووازن من منطلق العبادة لله تعالى ورضا الله عنك وثوابك عنده:

- أيهما تجد فيه معنى التعبد الحقيقي لله تعالى: صلاتك وأنت مشغول بدنياك أم صلاتك وأنت مستحضر القلب لا يشغلك إلا رضى الله تعالى وآخرتك؟
- صدقة علنية شكرك الفقير عليها ورأيت لنفسك قربًا من الله تعالى بإنقاذك له ولعياله، وصدقة سرية ما عرف مسكين من الذي قدمها له فشكر الله ودعا في ظهر الغيب للمتصدق، وما شعر بانكسار لما التقاك في طريق أو مجلس.

- موقف تعرضت له فغضبت وتكلمت بما ليس مستحبًّا، وموقف تعرض لك فيه جاهل بلغوٍ وشتيمة وأذًى فذكرت الله وكظمت غيظك وانطلقت في طريقك.
- تجاهلك لناصح ذَكَّرَك بآيات الله تعالى وأمرك بمعروف أو نهاك عن منكر، أو وقفة مع نفسك متفكرًا بالنصيحة ومعتبرًا.

دقق في المعاني التالية:

❖ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» [البخاري: ٦٠٣٥].

❖ قال رسول الله ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» [مسلم: ٢٥٥٣].

❖ قال رسول الله ﷺ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ» [الترمذي: ٢٠٠٢، حسن صحيح].

❖ قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "تفكُّرُ ساعة خير من قيام ليلة". [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٠٨)].

❖ قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ركعتان مقتصدتان في تفكر، خير من قيام ليلة والقلب ساه" [رواه ابن المبارك في الزهد (٩٧/ ١)].

❖ قال سفيان الثوري رحمه الله: "يكتب للرجل من صلاته ما عقل منها" [الحلية لأبي نعيم: ٧/ ٦١].

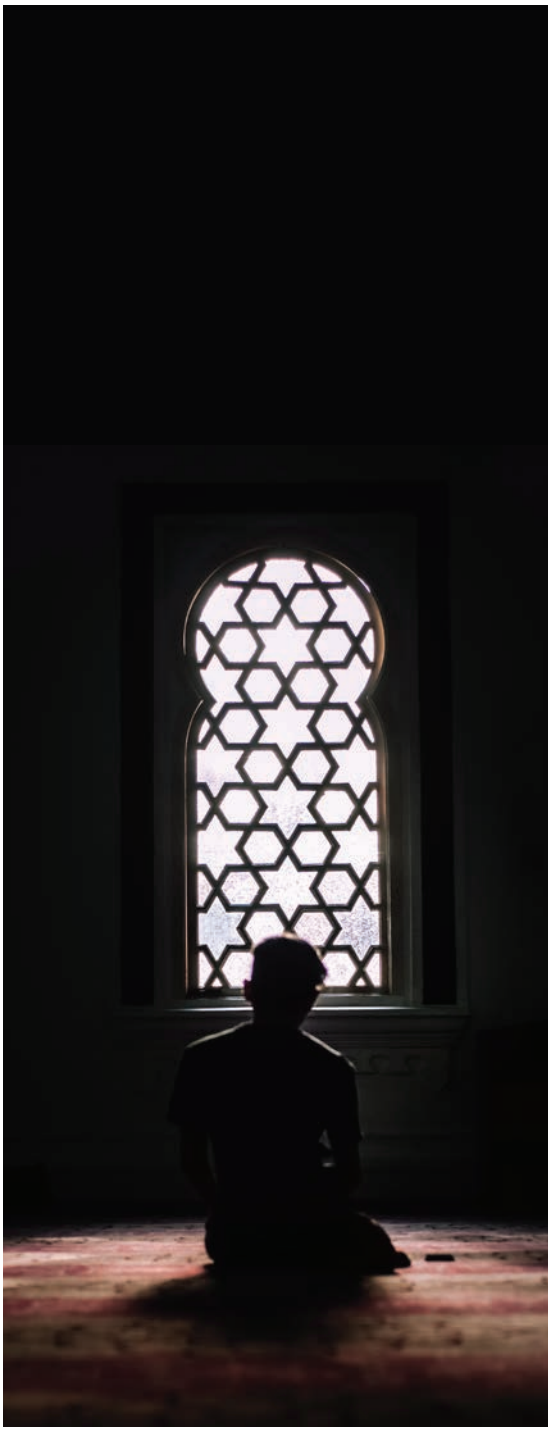

ناقش

- هل اكتشفت عبادة كنت تجهلها أو أنك مقصر فيها؟ اذكرها.
- ما خطتك لتفعيل عبادة التفكر؟

ارجع إلى كتاب «**كيف أتعلم الإسلام؟**» من هذه السلسلة، واقرأ فيه كيف أن طلب العلم عبادة جليلة من أجل العبادات .

كان السلف يهتمون بعبادات الجوارح، حيث إنها امتداد لعبادات القلوب، وهي تزيد الإيمان إذا أُديت على وجهها، لكنهم كانوا يفضلون عبادات القلب مع الاقتصاد في العبادة، على الإكثار من عبادة الجوارح مع غفلة القلب.

فعبادات القلب وعلى رأسها التفكر في خلق الله تعالى، وحسن الخلق، والكف عن محارم الله، والأنس بالله تعالى، ومناجاة الله عز وجل، ومحاسبة النفس ومعالجة أمراضها وآفاتها، ورياضة النفس على مكارم الأخلاق وعلى عبادات القلوب، كل ذلك عبادات ينبغي ألا تنسى في خضم الحياة وانشغالاتها، وهي الأصل والباعث على عبادات الجوارح.

نتيجة

إثراء

أضف لما سبق عبادات تجدها منسية في مجتمعك، واستدل لها من القرآن الكريم والسنة الشريفة.

التقويم

١ صحِّح العبارات الخاطئة فيما يلي:

١. إذا قام بالقلب معنى، لزم ضرورةً أن يتحرَّك البدَنُ بموجب ذلك من الأقوال الظَّاهرة والأعمالِ الظَّاهرة فعلًا أو تركًا.

.....

.....

٢. تغني أعمال القلوب عن أعمال الجوارح لأنها أصلها والباعث عليها.

.....

.....

٣. لكل من أعمال القلوب وأعمال الجوارح وقت يحدها.

.....

.....

٤. دعا القرآن الكريم الإنسان إلى التفكر في أسماء الله تعالى وصفاته وآياته وفي مخلوقاته ومفعولاته وتدبرها للوصول إلى دلائل عظمة الله تعالى.

.....

.....

٥. يقيد كثير من الناس -ومنهم أساتذة ومعلمون في مجالات شتى- تفكيرهم في حدود صناديق لا يخرجون منها.

.....

.....

٢ علِّل ما يلي:

١. ما يقوم بالبدَن من الأقوال والأعمال له تأثير على القلب.

.....

.....

.....

٢. كثيرًا ما يتكلم الإنسان أثناء نومه وفي سكرات الموت، وعند الغضب بما يعتلج في نفسه وبما حفظه في سريرته.

.....

.....

.....

٣. نسبة القرآن الكريم العمد للقلوب: ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾

.....

.....

.....

٤. رتب القرآن الكريم قبول أعمال الجوارح على الإيمان وعمل القلب، كما أن عمل الجوارح دون عمل القلب صنفته الآيات ضمن أعمال النفاق.

.....

.....

٥. من عرف الله تعالى وأحبه أطاعه.

.....

.....

.....

٣ اشرح ما يلي:

١. أعمال القلوب محرِّكةٌ ودافعةٌ لأعمال الجوارح.

٢. الفكرة نور تدخله قلبك.

٣. يكتب للرجل من صلاته ما عقل منها.

٤. من العبادات المنسية: رياضة النفس على مكارم الأخلاق وعبادات القلوب.

٤ اضرب ثلاثة أمثلة للأعمال التي تبقى مستمرة للإنسان أثناء توقف أعمال الجوارح.

٥ جاء الإسلام آمرًا بالتفكر، منبهًا على فضله، مثنيًا على أهله، متوعِّدًا من ينأى عنه. اذكر آية وحديثًا يدلان على ذلك.

٦ يرفض كثير من الناس إعمال تفكيرهم في القضايا الوجودية؛ من أوجد الكون وما فيه، ولماذا، وما هو المصير بعد هذه الدنيا.

١. لماذا يسير هؤلاء الناس بذلك الاتجاه؟

٢. كيف تقوِّم هذا الرفض؟

٣. كيف تقنع أصحاب ذلك الاتجاه بضلال اتجاههم؟

٤. ما أثر إعمال التفكير في القضايا الوجودية على عمل القلب؟

نماذج من سير
الأنبياء والصالحين

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يتعرف على أحوال قلوب بعض الأنبياء الكرام.
- يتعرف على بعض أحوال قلب النبي صلى الله عليه وسلم.
- يتعرف على أحوال قلوب بعض الصالحين من أمة الإسلام.
- يتخذ الأنبياء والصالحين أسوة، ويحوِّل المعارف التي حصَّلها في هذا المحور إلى تطبيق عملي.

تمهيد

جاء يوم لقاء جديد بين عبد العليم والعالم الجليل، وكان لقاء منتظرًا منهما، أما عبد العليم فلشغفه بالاستزادة من العلم الذي يسعى لتطبيقه في حياته العملية؛ فهو يتعلم ويعمل حبًّا لله ورسوله ودينه وطلبًا للفوز في الآخرة، وأما العالم فكان يضيف إلى غايات وأهداف عبد العليم قصد الدعوة إلى الله تعالى ولدينه الحنيف.

قال عبد العليم: بماذا سنختم موضوع حديثنا الشيق الذي بدأناه منذ أسابيع؟

قال العالم: حتى نستكمل الموضوع، لابد لنا من نماذج تكون لنا قدوة صالحة وأسوة حسنة، نقتدي ونتأسى بها، وهم الأنبياء والمرسلون عامة، ورسولنا محمد ﷺ خاصة، ثم من سار على نهجه وسنته من الصحابة الكرام والسلف الصالح.

قال عبد العليم: إنَّ دراسة النماذج تعلمنا الكثير، فاختيارك لتدارسها اختيار موفق إن شاء الله عز وجل.

قال العالم: إن النماذج أكثر من أن تحصى، ولو أردنا دراسة كل ما وصل إلينا فإن ذلك يحتاج إلى جلسات كثيرة وقراءة مجلدات ضخمة؛ ولكن يمكن أن نختار بعضًا قليلًا منها للاستدلال على ما نحن بصدده، وقد أورد العلماء غيرها الكثير الكثير مما يجلو صدأ القلب، ويرتقي بالمؤمن ليعيش في أحوال سامية رفيعة من عبادات القلوب لربها تبارك وتعالى، فيمكنك الرجوع لكتبهم للاستزادة.

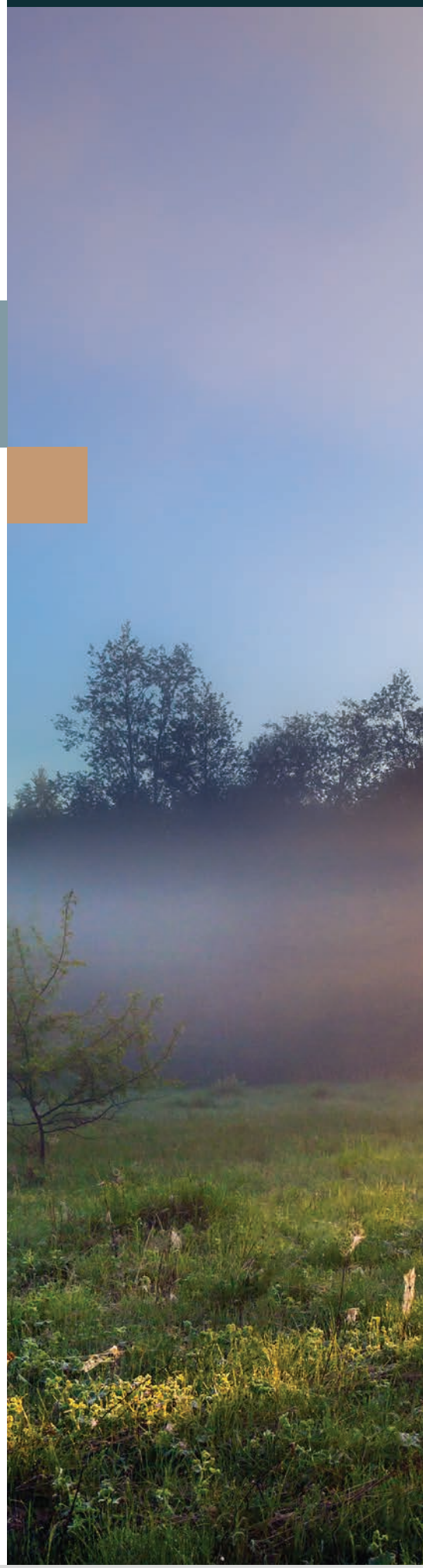

نماذج من أخبار الأنبياء عامة

كان الأنبياء والرسل جميعًا أصحاب قلوب سليمة عابدة لله تعالى، وكانوا قدوة وأسوة لكل من بعدهم في ذلك، وقد ذكر القرآن الكريم نماذج من ذلك في حديثه عن الأنبياء وقصصهم مع أقوامهم، ونقدم بعضًا من النماذج التي ذكرها القرآن الكريم:

تدبر:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤].

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

[الأنبياء: ٨٣ – ٩٠].

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[الصافات: ١٣٩ – ١٤٤].

يقول السعدي رحمه الله في تفسيره:

كان يونس عليه السلام من المسبحين في سابق عهده بكثرة عبادته لربه وتسبيحه وتحميده وكذلك في بطن الحوت.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم: ١١ – ١٢].

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص: ١٧].

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: ٣٠].

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤١ – ٤٤].

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾ [ص: ٤٥ – ٤٩].

ناقش

- ما هي أعمال القلوب الواردة في الآيات السابقة؟
- من خلال النماذج السابقة، ما هي العبادات القلبية التي تعتقد أن الأنبياء والرسل أعطوها امتيازًا على غيرها؟
- لماذا ذكر القرآن الكريم عبادات الرسل وأعمال قلوبهم وما أثمرته من عبادات الجوارح؟
- كيف يستفيد المؤمن من هذه النماذج؟
- هل تعتقد أن المؤمن قادر على استثمار هذه النماذج عمليًا في حياته، ونقلها إلى الآخرين ليستفيدوا منها وليستثمروها في حياتهم؟ وضح موقفك وخطواتك في ذلك.

ارجع إلى كتاب «**فبهداهم اقتده**» من هذه السلسلة، واقرأ فيه عن الحكمة من إيراد قصص الأنبياء في القرآن الكريم .

لاحظ

في كل النماذج السابقة ينطلق الأنبياء والمرسلون من البناء على الإيمان واليقين والإخلاص، ثم كل نموذج من النماذج يركز على عمل من أعمال القلب: كصبر الرسل على الطاعة والتزام حدود الله، والصبر على أذى أقوامهم، واللجوء إلى الله والاعتماد عليه، والرجوع والتوبة والإنابة لله، ودعاء النبي لربه دعاء القلب، والصلاح والمسارعة في الخيرات، والرغبة والرهبة والخشوع، والتسبيح المخلص لله تعالى بالقلب قبل اللسان، واستمرار التوكل على الله ظاهرًا وباطنًا.

نشاط إثرائي

اختر سورة الأنبياء أو سورة القصص واتلها تلاوة متدبر، ثم حدد فيها الآيات الكريمة التي تتحدث عن عبادة القلوب عند الأنبياء والرسل، وكذلك أعمال القلوب الفاسدة عند أقوامهم الكافرين.

قم بمقارنة وموازنة بين الحالين.

نموذج من أخبار نبي الله يعقوب مع أعمال القلوب في سورة يوسف

في هذا السياق تقدم سورة يوسف نموذجين فريدين، فما رأيك بالتفكر في نموذج منهما خصه القرآن الكريم بمزيد اعتناء، وهو حال يعقوب عليه السلام، إنها قصة من وقائع الحياة الإنسانية لها مثيلات كثيرة في حياة الناس وإن اختلفت بعض التفاصيل، ولنبدأ بتلاوة سورة يوسف بتدبر، ثم بعد ذلك تدبر الآيات التالية:

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

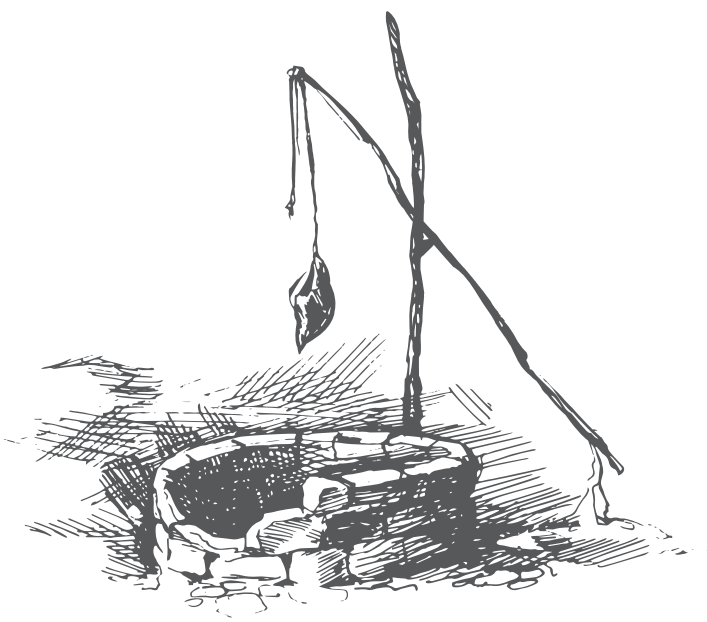

- أدرك نبي الله يعقوب عليه السلام من دلائل الحال، ومن نداء قلبه، أن يوسف لم يأكله الذئب، وأن أولاده دبروا ليوسف مكيدة ما، وأنهم يلفقون قصة لم تقع، ويصفون له ما لم يكن، فواجههم بأن نفوسهم قد حسَّنت لهم أمرًا منكرًا وذلَّلته ويسرت لهم ارتكابه، وأنه سيصبر متجمِّلًا لا يجزع ولا يفزع ولا يشكو، مستعينًا بالله على ما يلفقونه من حيل وأكاذيب.
- وتمضي السنون، ويقع القحط، وتسير القوافل إلى مصر طلبًا للطعام، ومنهم إخوة يوسف عليه السلام، ويطلب منهم العزيز -وهو يوسف عليه السلام ولكنهم لا يعرفونه- أن يأتوه بأخيهم من أبيهم حتى يكون بينهم تعامل في المستقبل أو يمنع عنهم الكيل.

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤ ﴾

[يوسف:٦٣ – ٦٤].

﴿ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٦٦ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ ﴾ [يوسف: ٦٦ – ٦٧].

توضِّح السورة أنهم وصلوا إلى مصر واكتالوا، ولما هموا بالرجوع كان ما لم يتوقعوه، حيث تعرض أخوهم الصغير للسجن؛ ولهذا لم يرجع الأخ الأكبر حياء من والده، ثم يقف بقية الأبناء يفضون بالنبأ الفظيع لأبيهم المفجوع، فلا نسمع إلا ردًّا قصيرًا سريعًا، شجيًّا وجيعًا، ولكن وراءه رجاء لم ينقطع في الله أن يرد أولاده الثلاثة، وإنه لرجاء وأمل عجيب في ذلك القلب المكلوم.

﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ ﴾

[يوسف: ٨٣–٨٦].

- إنها كلمته ذاتها يوم فقد يوسف: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، ولكنه في هذه المرة يضيف إليها هذا الأمل بل الرجاء أن يرد الله عليه يوسف وأخويه؛ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الذي يعلم حاله، ويعلم ما وراء هذه الأحداث والامتحانات، ويأتي بكل أمر في وقته المناسب، عندما تتحقق حكمته في ترتيب الأسباب والنتائج.

- لكن من أين جاء شعاع الأمل إلى قلب هذا الرجل الشيخ؟ إنها أعمال القلوب؛ فالرجاء في الله، والاتصال الوثيق به، والشعور بوجوده ورحمته، تعطي ذلك الأمل وذلك اليقين وذلك الشعور الذي يتجلى في قلوب المؤمنين بالله، فيصبح عندها أصدق وأعمق من الواقع المحسوس الذي تلمسه الأيدي وتراه العيون.

- ثم يرد يعقوب عليهم عند انتقادهم له لكثرة ذكره يوسف بأن يتركوه لربه، فهو لا يشكو لأحد من خلقه، وهو على صلة بربه غير صلتهم، ويعلم من الله وقدرته وحكمته ما لا يعلمون، وفي هذه الكلمات يتجلى الشعور بحقيقة الألوهية في هذا القلب الموصول بالله.

- لم يكن الواقع الظاهر الذي يوحي بهلاك يوسف، ليؤثر في قلب يعقوب، ولم يكن الفقد عبر الزمن الطويل الذي يقطع الرجاء من حياة يوسف فضلًا عن عودته لأبيه، ولا استنكار بنيه لهذا الأمل بعد هذا الأمد الطويل، لم يكن كل ذلك ليؤثر شيئًا في شعور يعقوب وفي قلبه؛ فهو يعلم من قدرة ربه ومن شأنه ما لا يعلمه المحجوبون عن تلك الحقائق! وهذه قيمة الإيمان بالله، وأثر أعمال القلوب ويقينها ومعرفتها به سبحانه؛ معرفة التجلي واليقين وكأنها ترى قدرته وقدره، وتجد رحمته ورعايته، فتدرك شأن الخالق القادر الرحيم مع العباد الصالحين، فالقلب الذي ذاق هذا المذاق لا تبلغ الشدائد منه مبلغًا.

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

إن المؤمنين الموصولة قلوبهم بالله، الندية أرواحهم بالإيمان، الشاعرين بنفحاته وعطاءاته، لا ييأسون من رحمة الله ولو أحاط بهم الكرب، واشتد بهم الضيق، وإن المؤمن لفي أنس من صلته بربه، وفي طمأنينة من ثقته بمولاه، وإن كان في مضايق الشدة والكروب.

لكن المحيطين بيعقوب عليه السلام لم يكن لهم ما له عند ربه، فلم يجدوا ما وجد، ولم تشعر قلوبهم بما شعر.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥﴾ [يوسف: ٩٤ – ٩٥].

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٩٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٩٨﴾ [يوسف: ٩٦ – ٩٨].

انتبه

هنا يذكر يعقوب حقيقة ما يعلمه من ربه؛ تلك التي حدثهم بها من قبل فلم يفهموا مراده؛ إني أعلم من الله ما لا تعلمون؛ إنها أعمال القلوب: اليقين بالله، والتوكل عليه، وتصديق وعده، والتبصر في سننه.

انتبه

وعدهم بأنه سيستغفر لهم ولكن ليس في الحال، بل بعد حين، لأنه قال: "سوف أستغفر لكم"، ولم يقل "سأستغفر لكم"، وهي كلمة لا تخلو من إشارة إلى قلبٍ إنساني مكلوم، فهو يعدهم باستغفار الله لهم بعد أن يصفو ويسكن ويستريح.

ناقش

- ما الأعمال والعبادات القلبية التي امتاز بها يعقوب عليه السلام في هذه القصة؟
- عندما تقع للإنسان فجيعة -وخاصة إذا كان أبًا أو أُمًّا- تختلف المواقف بين الناس، برأيك ما هي أصناف الناس إذا فجعوا بالمصائب، وما هي مواقف كل صنف منهم؟
- كيف امتلأ قلب يعقوب عليه السلام بالرجاء رغم شدة الكرب، وما هي خطوات بناء الرجاء في نفسه؟
- يعمل العامة من الناس على تثبيط الرجاء عند أصحاب القلوب المتصلة بالله تعالى، لماذا يفعلون ذلك برأيك؟ هل ارتهانهم للمادة سبب من الأسباب؟
- كيف يتعامل المؤمن المتصل قلبه بالله تعالى عند الضيق واشتداد الكروب والمحن؟

نشاط إثرائي

أعد تلاوة سورة يوسف وحاول أن تتفكر في النموذج الثاني الذي هو موضوع السورة أساسًا، والذي خصه القرآن الكريم أيضًا بمزيد اعتناء في هذه السورة، وهو قصة سيدنا يوسف عليه السلام، مركزًا على الأحوال والأعمال القلبية التي اختص بها يوسف عليه السلام، كما بينتها هذه السورة.

نتيجة

أرسل الله تعالى أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام ليكونوا قدوة وأسوة للناس؛ فتميزوا بأعمال قلوبهم وعباداتها، وبأحوالهم مع ربهم؛ وذلك لأن قلوبهم كانت القلوب السليمة المؤمنة، الخالصة المخلصة، العابدة المسبحة، المتوكلة الخاشعة، الراضية الشاكرة، الصابرة المستغفرة، الراغبة بما عند الله تعالى، الآيبة إليه، ملؤها الخير والبر، خالصة من الشر والإثم.

ولقد أصابت الفاقة والابتلاءات والمصائب والمحن أنبياء الله ورسله، فكانت قلوبهم تفزع إلى ربها في أمنها وكربها، وفي سرها وجهرها، وفي أحوالها جميعًا، لا يتوقف اتصالها بالله؛ فلا تجزع ولا تشكو لغير الله، معظمة له سبحانه محبة له خائفة منه.

نماذج من أخبار نبي الله محمد ﷺ وسيرته

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ [التوبة:٤٠].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي» قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]. قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان. [رواه البخاري: ٤٥٨٣، ومسلم: ٨٠٠].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت! قال: «شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾﴾، و﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾» [رواه الترمذي: ٣٢٩٧، وصححه الألباني].

عن المغيرة رضي الله عنه، قال: إن كان النبي ﷺ ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه - أو ساقاه - فيقال له فيقول: «أفلا أكون عبدًا شكورًا» [البخاري: ١١٣٠، ومسلم: ٢٨١٩].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» [البخاري: ٦٣٠٧].

تعرض رسول الله ﷺ للأذى العظيم والاضطهاد الشديد في نفسه وأصحابه فقال الكافرون عنه: ساحر وكاهن وشاعر ومجنون.

كان رسول الله ﷺ طويل الصمت كثير التفكر، فعن سماك بن حرب، قال: «قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس النبي ﷺ؟ قال: نعم، كان طويل الصمت، قليل الضحك» [رواه أحمد برقم ٢٠٨١٠، وحسنه الأرنؤوط].

ناقش

- ما معرض قول النبي لصاحبه لا تحزن؟
- ما المعاني التي تتضمنها هُودٌ، وَالوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَالتكوير حتى وصفها الرسول عليه الصلاة والسلام أنها سبب شيبه؟
- ما الذي يدل عليه شيب الرسول عليه الصلاة والسلام من هذه السور؟
- ما مفهوم شكر الله تعالى عند رسول الله ﷺ؟
- ما مفهوم الاستغفار والتوبة عند رسول الله ﷺ؟
- كيف تعامل الرسول عليه الصلاة والسلام مع أذى الناس له؟
- ما ثمرة الصمت الذي كان سمة من سمات الرسول عليه الصلاة والسلام؟
- ما العبادات القلبية التي مرَّ ذكرها فيما سبق عن النبي عليه الصلاة والسلام؟

نتيجة

كانت عبادة القلب عند رسول الله ﷺ هي الأصل والأساس، تدل على ذلك آيات القرآن الكريم ومواقف سيرته وأحاديث سنته الشريفة؛ فهو المؤمن الموحِّد السبَّاق في يقينه وإخلاصه بزيادة دون تراجع أو نقصان، ذو الفكر الذي يستعين على فكرته بصمته، الخاشع بين يدي الله، الصابر على الأذى رغم شدته والإمعان في الافتراء عليه، التائب بلا ذنب والمستغفر دون معصية، التقي الخائف من ربه، الشاكر لأنعمه، الراضي بقدره، المراقب له في السر والعلن، المتوكل عليه في كل حال، والموقن به في كل شدة ورخاء.

نشاط إثرائي

اختر كتابًا من كتب فقه السيرة الشريفة، واستخرج منه عددًا من المواقف التي تظهر اهتمام الرسول عليه الصلاة والسلام بأعمال القلب، وكيف كان يحث أصحابه الكرام على ذلك.

تفكر وتدبر:

قال الله تعالى مخاطبًا نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠].

كان النبي ﷺ يقضي أوقاتًا من الليل والنهار مناجيًا الله تعالى يدعوه ويسأله، وعند الكروب والمحن كان يزيد في ذلك، وربما قضى الليل داعيًا ومناجيًا كما في ليلة بدر وغيرها.

كان ﷺ يُعَلِّم أصحابه الاستخارة في كل أمر يقدمون عليه؛ فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن» [رواه البخاري ١١٧١]، والاستخارة في حقيقتها لجوء قلبي لله تعالى؛ أن ييسر الأمر أو يصرفه عن المستخير.

دخل النبي عليه الصلاة والسلام الغار ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في طريق الهجرة إلى المدينة المنورة، وعندما اقترب المشركون من الغار خاف أبو بكر أن يراهما المشركون فقال للنبي ﷺ: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟» [البخاري: ٣٦٥٣، مسلم ٢٣٨١].

لاحظ

إن كل عمل مما سبق إنما هو في حقيقته عمل قلبي، وعبادة يتصل بها العبد مع ربه، ولو انقطعت العبادة القلبية لصار العمل لا معنى له.

ناقش

- برأيك، ما الذي يجعل إنسانًا يترك لذة النوم في الليل -وخاصة إذا كان مرهقًا من نهاره- ليقوم مصليًا أو تاليًا أو مسبحًا أو داعيًا ومناجيًا، ثم يستمر على ذلك أكثر لياليه؟
- عن النبي ﷺ، قال: «يقول الله عز وجل: الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي، والصوم جُنَّة، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه، ولَخُلُوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» [البخاري: ٧٤٩٢، مسلم: ١١٥١]، لماذا برأيك؟
- للمناجاة معنى خاص يختلف عن الهمس فهل ترى أن المناجاة تتم باللسان وحده؟ وضح رأيك.
- إذا أردت أن تستشير في أمر فمن تختار؟ اربط ذلك باستخارة النبي عليه الصلاة والسلام ربَّه وتعليمه ذلك للمسلمين.
- علامَ يدلك موقف النبي عليه الصلاة والسلام السابق الذكر في الغار، وكذلك صرفه للصحابة الذين كانوا يحرسونه عن حراسته رغم عدم استتباب الأمن فور نزول قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]؟

إن من الأعمال التي يراها الناس أعمال لسان وجوارح ما يكون في حقيقته عبادات قلبية؛ وهكذا كانت أعمال وعبادات رسول الله ﷺ، فإن تركه لذة النوم في الليل ليقوم مصليًا وتاليًا ومسبحًا وداعيًا ومناجيًا، ثم يستمر على ذلك لياليه وأيامه، لا يمكن أن يطول إذا انقطع فعل الجوارح عن أصله في القلب.

وكذلك الاستخارة الحقة، والشعور بأنس حفظ الله، وأنه مع الإنسان، لا يتحقق إلا إذا كان قد غمر القلب فأثمر فيضه على المشاعر واللسان، ولذلك كان قلب رسول الله ﷺ ونفسه وعقله سُجَّدًا لله، في عبادة لا تنقطع ليلًا أو نهارًا، فتنعكس على جوارحه فيسمع الناس بعضها أو يرون شيئًا منها.

نتيجة

إثراء

اشرح كيف يمكنك أن تتطبع بما كان عليه رسول الله عيه الصلاة والسلام، فتجعل من عبادات اللسان والجوارح فيضًا من عبادات القلب والعقل والنفس.

نماذج من أعمال القلوب في أخبار الصحابة والصالحين من المسلمين عبر السنين

الإخلاص

يقول أويس القرني رحمه الله: "إذا قمت فادع الله يصلح لك قلبك ونيتك، فلن تعالج شيئًا أشد عليك منهما" (صفة الصفوة ٢ / ٣١).

وأويس القرني هو التابعي الذي أوصى النبيُّ ﷺ عمرَ بن الخطاب ﷺ أن يطلب منه أن يستغفر له، وأخبره أنه يأتي في أمداد اليمن، وذكر له صفته، فكان عمر يترقب ويتحرى حتى عثر عليه، فكلمه وسأله حتى استيقن أنه هو، وطلب منه أن يستغفر له، ثم اختفى أويس فلم يعرف له أثر بعد ذلك، اختفى لشدة إخلاصه لما انكشف أمره وخشي أن يتعلق الناس به، وأن يثنوا عليه ويطروه، وأن يتتبعوا آثاره ويطلبوا منه الدعاء، أو يطلبوا منه أن يستغفر لهم، فاختفى في أجناد المسلمين، وخرج غازيًا في سبيل الله عز وجل، ولم يُوقَف عليه بعدها.

الأخذ

حرص أويس رحمه الله تعالى على سلامة قلبه وإخلاص نيته من خلال اختفائه بين الجنود مجاهدًا في سبيل الله؛ كي لا يعرفه الناس فتغره نفسه فتتغير نيته ويقع في قلبه العجب والرياء.

نشاط

افعل أي عمل خير دون أن يطلع عليه أحد إلا الله تعالى؛ كالصدقة السرية، والصلاة الخفية، وإرسال هدية لقريب أو صديق هو محتاج إليها دون إخباره... إلخ

اليقين

لقي الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى، ألوان المعاناة من خصومه الذين اجتمعوا على أذيته وألَّبوا السلطان عليه؛ حتى تكرر سجنه مرات في دمشق وفي مصر، وما كان ذلك يَفُتُّ من عضده أو يثنيه عن اتباع الحق والدعوة إليه، وقيل له إنهم عازمون على قتله أو نفيه أو حبسه؛ فقال: "أنا إن قتلت كانت لي شهادة، وإن نفوني كانت لي هجرة، ولو نفوني إلى قبرص لدعوت أهلها إلى الله وأجابوني، وإن حبسوني كان لي معبدًا، وأنا مثل الغنمة كيفما تقلبت، تقلبت على صوف" [الجامع لسيرة ابن تيمية ص٣١].

وقال: "ماذا يفعل أعدائي بي؟ ... جنتي وبستاني في صدري؛ حبسي خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة".

فيئسوا منه وانصرفوا. [الوابل الصيب من الكلم الطيب ص: ٤٨].

ناقش

وازن بين:

إنسان وقع عليه البلاء فزاد ذلك يقينه بالله تعالى، فصبر وشكر، واستثمر البلاء بما يرضي الله تعالى وينفعه في الدنيا والآخرة، وآخر أصابه بلاء فجزع وأضاع جزءًا من عمره وقوته في التحسر والشكوى والسخط.

التفكر والاعتبار

عن محمد بن واسع، أن رجلًا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر ﷺ يسألها عن عبادته، فقالت: "كان النهار أجمع خاليًا يتفكر" [حلية الأولياء ١/ ١٦٤].

عن عون بن عبد الله قال: "سألنا أم الدرداء: ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء؟ قالت: التفكر والاعتبار" [حلية الأولياء ١/ ٢٠٨].

عن فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز رحمهما الله أنها دخلت عليه فإذا هو جالس في مُصَلَّاه، معتمدًا يده على خده، سائلة دموعه على لحيته؛ قالت: يا أمير المؤمنين، أي شيء حدث؟

قال: يا فاطمة، إني تقلدت أمر أمة محمد ﷺ أحمرها وأسودها، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والغازي المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال الكثير والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ، فخشيت ألا يثبت لي حجة عند خصومته، فرحمت نفسي فبكيت" [تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٥/ ١٩٧].

ناقش

على ضوء ما سبق:

- ما أفضل عباداتك؟
- هل جربت القيام بعبادة التفكر والاعتبار؟ ما الثمرة التي حصَّلتها من هذه التجربة؟
- بعد أن تجرب هذه العبادة، أين تصنف هذه العبادة في سلم عباداتك من حيث الأهمية والثمرة؟
- ما الشروط التي اكتشفتها، والتي ينبغي مراعاتها، لتحقق هذه العبادة مبتغاها والمراد منها؟
- ما تقويمك لمن يغض الطرف عن هذه العبادة ولا يعيرها اهتمامًا؟

نشاط

تفكر في شيء يلفت نظرك: عقلك، السماء، الخلية... إلخ واكتب أكثر ما أثار دهشتك، ثم نتائج تفكرك، ثم العبرة التي أخذتها من تفكرك.

الخوف من الله والخشوع

قال محمد بن المنكدر: "لو رأيت عبد الله بن الزبير قائمًا يصلي لقلت: شجرة تصفقها الرياح، وحجارة المنجنيق تقع ها هنا وها هنا ما يلتفت" [سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٦٤- ٣٧٠].

وصدق العالم الذهبي رحمه الله تعالى حين قال: " هكذا كان زهاد السلف وعبادهم، أصحاب خوف وخشوع وتعبد" [سير أعلام النبلاء للذهبي ٦/ ٨٦].

قم بالتجربة التالية:

- اجلس في جانب المسجد وحاول أن تصنف الناس إلى عدد من الفئات حسب صلاتهم: سريع جدًّا، سريع، بطيء جدًّا، بطيء، معتدل.
- حاول أن تحصي خصائص كل فئة من حيث: الخشوع الذي يمكن أن يظهر أثره على الجوارح، ووعي الصلاة أو السهو فيها، وشعور الخوف من الله تعالى، والأنس بمناجاة الله وعبادته...إلخ.
- حاول أن تتصور خصائص صلاة عبد الله بن الزبير ﷺ، قارنها مع صلاة الفئات السابقة.
- قارن صلاتك بصلاة الفئات السابقة وصنف نفسك بينهم.
- قم بموازنة بين النتائج السابقة ثم اكتب استنتاجاتك.

ضع خطة لتدريب نفسك على الخشوع في الصلاة، والتفكر في الآيات التي تتلوها، وعدم الانشغال بالمحيط.

المراقبة

مر عبد الله بن عمر ﷺ براعي غنم، فقال: يا راعي الغنم هل من ذبيحة؟ قال الراعي: ليس ها هنا صاحب الغنم لاستأذنه بالذبح، فقال ابن عمر: تقول أكلها الذئب! فرفع الراعي رأسه إلى السماء ثم قال: فأين الله؟

فاشترى ابن عمر الراعي، واشترى الغنم؛ فأعتقه وأعطاه الغنم. [رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٢٠٤ وصححه الألباني].

ونظر عبادة بن الصامت ﷺ إلى الصُّنَابِحِيِّ -وهو من أئمة التابعين- فقال: "من سره أن ينظر إلى رجل كأنَّما رُقِيَ به فوق سبع سماوات، فعَمِلَ ما عمل على ما رأى؛ فلينظر إلى هذا" [حلية الأولياء ٥/ ١٢٩]، يعني أنه كان يراقب الله عز وجل، وكان شديد الخوف والحياء منه سبحانه، فيعمل في حياته كلها وكأنه يرى يوم القيامة والجنة والنار.

لاحظ

كان لدى الصحابة الكرام والسلف الصالح، شعور لا ينقطع باطلاع الله تعالى عليهم في كل حركة وسكون، وكان ذلك الشعور يمثل بوصلة وموجهًا لهم.

تخيل

ماذا لو اكتسب المجتمع شعور الصحابة والسلف في مراقبة الله، وصارت أعمال القلوب ضابطًا للحياة، ما الثمرات والنتائج التي تتوقع أنها ستبرز في المجتمع؟

نشاط

راقب نفسك يومًا كاملًا، وانظر لأفكارك وأعمالك وأقوالك واهتمامات قلبك

ما نسبة ما يشغلك من الدنيا إلى ما يشغلك من الآخرة؟ كم نسبة ذكرك لله مقابل غفلتك عنه وانشغالك بالدنيا؟

كيف تستطيع الوصول إلى مضمون هذه الآية: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧].

ضع خطة لذلك مستعينًا بمن سبقك من المسلمين.

الورع

قال بكر بن عبد الله رحمه الله تعالى: "من سَرَّه أن ينظر إلى أعلم رجل أدركناه في زمانه، فلينظر إلى الحسن، فما أدركنا أعلم منه، ومن سره أن ينظر إلى أورع رجل أدركناه في زمانه فلينظر لابن سيرين؛ إنه ليدع بعض الحلال تأثمًا؛ يعني مخافة الإثم" [رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد ص ٢٥٠].

وكان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاحًا بين الناس من المال العام، فجاء ابن له وأخذ تفاحة من ذلك التفاح، فوثب إليه ففك يده؛ فأخذ تلك التفاحة؛ فطرحها في التفاح، فذهب الولد إلى أمه مستغيثًا فقالت له: ما لك أي بني؟ فأخبرها؛ فأرسلت فاشترت تفاحًا من مالها الخاص، فأكلت وأطعمته، ورفعت لعمر، فلما فرغ مما بين يديه دخل إليها، فأخرجت له طبقًا من تفاح، فقال: من أين هذا يا فاطمة؟ فأخبرته فقال: رحمك الله، والله إن كنت لأشتهيه [كتاب الورع، لابن أبي الدنيا (ص ١٢٤)].

قوِّم الأعمال التالية:

- شخص ينظر إلى النساء ولا يغض بصره، بدعوى أنه كبير في السن وما عاد هذا الأمر مصدر فتنة له.
- شخص يتاجر في السوق ولا يتحرى الحرام والحلال في معاملاته.

التوكل

قال عبد الله بن إدريس: "عجبت ممن ينقطع إلى رجل، ويدع أن ينقطع إلى من له السماوات والأرض" [تاريخ ابن معين ١/ ٣٥٨].

لما حضرتْ عمرَ بن عبد العزيز الوفاةُ دعا بنيه -وكانوا أحدَ عَشَرَ رجلًا- ولم يخلف غير بضعة عشر دينارًا، فأمر أن يكفّن ويُشْتَرَى له موضعٌ يُدفن فيه بخمسة دنانير، فأصاب كلّ ابن منهم نصف دينار وربع دينار، وقال: يا بَنيَّ، ليس لي مال فأوصي فيه، ولكني قد تركتكم وما لأحد عندكم تبعة، ولا يقع على أحد منكم عين أحد إلا ويرى لكم عليه حقًّا. وقال: والله يا بَنِيَّ! ما منعتكم حقًّا هو لكم، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم، وإنما أنتم أحد رجلين: إما صالح فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فلا أخلف له ما يستعين به على معصية الله.

فقال له أحد أقربائه، وهو مَسلمة بن عبد الملك، وكان وزيرًا ومستشارًا: أَوَ خير من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: وما هو؟ قال: هذه ثلاث مئة دينار، فرِّقها فيهم، وإن شئت فتصدق بها، وأوص فيها بما شئت. قال: أَوَ خير من ذلك يا مَسلمة؟ تردُّها إلى مَن أخذتها منه، فإنها ليست لك بحقٍّ. ثم قال: إن ولدي أحد رجلين: فإما صالحٍ فالله يتولّى الصالحين، وإما فاسق فلا أحب أن أترك له ما يستعين به على معصية الله. فقال مسلمة: يرحمك الله يا أمير المؤمنين حيًّا وميتًا، فقد ألنت لنا قلوبًا قاسية، وذكرتها وكانت ناسية، وأبقيت لنا في الصالحات ذكرًا. فيقال: إنه ما رُئِي أحد من أولاد عمر بن عبد العزيز إلا وهو غني، ولقد شوهد أحدهم وقد جهز من خالص ماله مئة فارس على مئة فرس في سبيل الله تعالى. [أبو عبد الله القلعي: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ص٢٠٧-٢٠٩].

قارن بين أربعة رجال:

- **الأول:** يترك العمل والسعي في سبيل الله، راكنًا إلى الخمول دون علة تمنعه، ينتظر قوته وقوت عياله مما يجود به الناس عليهم، ويبرر ذلك بأنه متوكل على الله تعالى.
- **الثاني:** لا يدفع عن نفسه أذى المعتدين ويستسلم لهم لأنه -حسب ظنه- متوكل على الله تعالى.
- **الثالث:** لا يعمل على تربية أولاده وتعليمهم الدين والخلق، ويتركهم لظروف الحياة تتقلب بهم، مدعيًّا أنه أوكل أمرهم إلى ربهم.
- **الرابع:** يوزع وقته بين عبادته وعمله وسعيه في سبيل الله، يده العليا بالصدقة، يدفع الأذى عن نفسه ولا يذل إلا لله تعالى، يرى تربية أولاده فرضًا عليه وعبادة لله عز وجل.

نشاط

- قوم المواقف الواقعية السابقة مع تعليل تقويمك لكل موقف.
- ثم بين ما الذي تختاره لنفسك من تلك المواقف.
- أي تلك المواقف الأربعة يحقق معنى التوكل الصحيح على الله تعالى؟ ولماذا؟

الحب

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

[آل عمران: ٣١-٣٢].

عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» [البخاري: ١٦، ومسلم: ٤٣].

قال عامر بن عبد الله: "أحببت الله عز وجل حبًّا سهل عليَّ كل مصيبة، ورضَّاني في كل قضية، فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت" [حلية الأولياء ٢/ ٨٩].

وقال إبراهيم بن أدهم: " لو علم الناس لذة حب الله، لَقَلّتْ مطاعمهم ومشاربهم وحرصهم" [حلية الأولياء ١٠/ ٨١].

ومن مناجاة يحيى بن معاذ ربَّه في دعائه: "أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحب الساعات إليَّ ساعة يكون فيها لقاؤك" [مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار ص١١٣].

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى في مرضه الذي مات فيه: "ارحمني بحبي إياك، فليس شيء أحب إليَّ منك" [حلية الأولياء٨/ ١٠٩].

قال العلماء: من ادعى المحبة ولم يلتفت لخشية الله بالوقوف عند حدوده فهو مخدوع، ومن ادعى عبادة الله بالحب وحده دون الخشية قد يصل للخروج من الدين؛ لأن النفس تنبسط في الحب حتى تتوسع في أهوائها إذا لم يزعها وازع الخشية لله، فتنحرف عن التوحيد وعن الطاعة.

وأما من عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد؛ لأن القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه.

حب الله عز وجل يقتضي تقديمه وتقديم طاعته على كل شيء، وتقديم محاب الله على محاب النفس، وذلك يزيد وينقص؛ فالمحبة هي حياة القلوب وقوتها، وغذاء الأرواح، وحقيقة العبادة؛ لأن العبادة إن خلت من المحبة فهي عبادة بلا روح.

نشاط

- حلل النماذج في النص السابق إلى عناصرها، ثم استنبط ثمرة المحبة لله ورسوله في حياة المؤمن.
- استنتج من خلال ما سبق معيار المحبة وشروطها، مستدلاً بالقرآن الكريم، وسنة وسيرة رسول الله ﷺ وصحابته الكرام.
- ناظر وقارن بين محبتك لله تعالى، والمحبة التي دعاك إليها القرآن الكريم والسنة الشريفة، واستنتج الفرق، وضع خطة للوصول إلى أعلى درجات الحب لله.

الرجاء

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]

لما احتضر بشر بن منصور السلمي ضحك وقال: أَخْرُجُ من بين ظَهْرَاني مَنْ أخاف فِتْنَتَه، وأَقْدِم على من لا أشك في رحمته.

قال أبو شيبة الزبيدي رحمه الله تعالى: "خفت نفسي ورجوت ربي، فأنا أحب أن أفارق من أخاف إلى من أرجوه".

قال بعضهم: " لما علمت أن ربي عز وجل يتولى محاسبتي زال عني حزني، لأن الكريم إذا حاسب عبده تفضل" [هذه الأقوال جميعًا من كتاب حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ص٤٠-١٠٠].

الرجاء: هو النظر إلى سعة رحمة الله، وتأمل الخير وقرب وقوعه، وتعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل، مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز. فهو عبادة قلبية جليلة، تبعث على العمل والجد والبذل، مع حسن الظن بالله تعالى، إلا أنها لا تتم إلا مع ما يقابلها من الخوف والخشية من الله عز وجل، ليكون العبد على حال من القصد والاعتدال في سيره إلى ربه ومولاه، دون أن يغلب عليه الرجاء فيطول أمله ويسوء عمله، أو يطغى عليه الخوف فيقنط ويأس من روح الله.

والرجاء غير التمني الذي هو رأس مال المفاليس والمغترين.

نتيجة

ناقش

- قارن بين إنسان يعبد الله تعالى بالرجاء، وآخر يطغى على نفسه التمني ويملأ قلبه.
- اقرن واربط بين المصطلحات التالية مع التعليل: الرجاء، التمني، الغرور، العلم والمعرفة، الجهل، الإيمان، اليقين، الإخلاص، الرياء، النفاق.
- ما علاقة الرجاء بالحب؟
- ما الذي يستلزمه الرجاء الشرعي الصحيح؟ (ما هي شروطه).

التوبة:

كل صحابي كانت له قصة توبة عن الجاهلية ودخول في الإسلام، وكذلك كثير من السلف الصالح كانت له قصة لتوبته بعد حياة لهو قصيرة أو طويلة، ولا يخلو أي منا من ذنب وقع فيه فتاب منه، فنماذج التوبة كثيرة جدًّا لا تتوقف ولا تنقطع، ما بقي مسلم في الحياة الدنيا.

في كتاب وظيفة العمر (التوبة) من هذه السلسلة ستجد نماذج مختارة من قصص التوبة والرجوع إلى الله تعالى.

إثراء

حدثنا عن قصة توبة تعرفها، كان لها أثر وثمرة في أعماق قلبك.

خلاصة الشائع

قال ابن القيم: "ففي القلب شعث، لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة، لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات، لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد، لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبدًا" [مدارج السالكين ٣/ ١٦٤].

نشاط إثرائي

في المكتبة الإسلامية كتب عديدة تتخذ موضوعها عمل القلوب وقصص الناس معه، ابحث عن كتاب من تلك الكتب كتبه عالم لا يرضى بالقصص غير الثابتة عن أصحابها، واطلع على ما فيه وشارك بعض تلك القصص مع أصدقائك.

أخذت العَبرة كلًا من العالم الجليل وعبد العليم، فسالت الدموع من أعينهما عند تذاكرهما تلك النماذج المشرقة الفريدة، وكلٌّ منهما يدعو الله تعالى أن يرفعه إلى منازلَ ودرجاتٍ في عبادة القلب، كمنازل ودرجات من ذُكِروا في لقائهما.

قال العالم: ها قد أتينا على أطراف الموضوع، والباقي على كلٍّ منا أن يعمل بما يستطيع ليكون لله تعالى أقرب، يزداد في إيمانه، ويحرص على إخلاصه، حتى يكون خالصًا لله تعالى من خاصته من المؤمنين.

قال عبد العليم: ما أجمل وأروع هذا الدين! فالعلم والمنطق والعواطف والمشاعر والتربية الصالحة والرقي والحضارة في إسلامنا، وإني لأشفق على كل إنسان ليس مسلمًا، وعلى كل مسلم لا يعي حقيقة إسلامه.

اتفق عبد العليم والعالم على استمرار التواصل بينهما، واللقاء كلما أمكنهما؛ ليتواصيا بالحق والصبر؛ لتحقيق أعمال القلوب، امتثالًا لقول الله تعالى في سورة العصر: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾.

وختما اللقاء بحمد الله وشكره، أن وفقهما لهذه الجلسات الطيبة المباركة، والصلاة والسلام على رسوله الذي كان سببًا للهداية والرشاد، ثم دعَوَا الله تعالى بالخير لهما وللمسلمين، وتصافحا وتبادلا السلام قبل أن يغادر عبد العليم المسجد وهو يستعيد أفكار الموضوع كاملًا، واضعًا أعمال القلوب نصب عينيه.

ارجع إلى كتاب «من قصص الصحابة» من هذه السلسلة، واقرأ كيف يثبت التاريخ أن الصحابة كانوا مثالًا في اليقين والصّلاح والتّقوى والصبر والصدق ، ابتغاء مرضاة الله تعالى ونصرة نبيه عليه الصلاة والسلام .

التقويم

١ صحِّح العبارات الخاطئة فيما يلي:

١. قاطع يعقوب عليه السلام أولاده بعد مكرهم ومكيدتهم بأخيهم يوسف عليه السلام.

٢. القلب الذي ذاق طعم الصلة مع الله تعالى لا تبلغ الشدائد منه مبلغًا، وإنما يستثمر تلك الشدائد لنيل رضا الله عز وجل.

٣. مواقف سيرة رسول الله ﷺ وأحاديث سنته الشريفة تختص بأعمال الجوارح وأقوال اللسان، وأما أعمال القلوب فهي سر بينه وبين الله تعالى.

٤. كان السلف الصالح حريصين على طول صلاتهم، تلذذًا بها واستراحة من أعباء الدنيا ومشقاتها، مع تعقل لها وخوف وخشوع.

٥. الورع يقتضي أن يترك المؤمن بعض الحلال، مخافة الاقتراب من الحرام أو الشبهات.

٦. يكفي حب العبد لله تعالى شفيعًا له عند الحساب، ولو فعل ما فعل وخلط الصلاح بالفساد.

٢ علِّل ما يلي:

١. يبني الأنبياء والرسل أعمال قلوبهم وأعمال جوارحهم على الإيمان واليقين والإخلاص.

.....

.....

.....

٢. كانت عبادة القلب عند رسول الله ﷺ هي الأصل والأساس.

.....

.....

.....

٣. يعد كثير من السلف الصالح التفكر والاعتبار من أفضل وأرفع العبادات.

.....

.....

.....

٤. لو علم الناس لذة حب الله لَقَلّتْ مطاعمهم ومشاربهم وحرصهم.

.....

.....

.....

٥. التوبة إحدى أهم وظائف العمر عند المؤمن.

.....

.....

.....

٣ ما ثمرة دراسة نماذج الأنبياء والرسل في مجال أعمال القلوب وعباداتها؟

٤ ما العبادات القلبية التي قام بها سيدنا يعقوب عليه السلام كما مرَّ في سورة يوسف؟

٥ وضِّح كيف حوَّل النبي عليه الصلاة والسلام عبادات الجوارح واللسان، إلى عبادات من أعمال القلوب.

٦ ماذا قصد الإمام ابن تيمية بقوله: ماذا يفعل أعدائي بي.... جنتي وبستاني في صدري؛ حبسي خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة؟

٧

كيف يستطيع كل فرد من المسلمين ضبط حياته بعيدًا عن المعاصي، مقبلًا على الله تعالى، ملتزمًا بأمره، منتهيًا عما نهاه؟

٨

اشرح الحديث التالي وفق فهمك لمعنى التوكل عند الأنبياء والسلف الصالح:

قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» [ابن ماجه: ٤١٦٤، وصححه الألباني].

٩ **كيف يمكنك الربط بين قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦]، **وقول سفيان الثوري رحمه الله تعالى: "ما أحب أن حسابي جُعِلَ إلى والديَّ، ربي خير لي من والدي".**

١٠ **وازن بين مصيبة وجب أجرها ونعمة لا يؤدَّى شكرها.**

الخاتمة

تعرفنا فيما مضى على مبادئ ومنطلقات لأعمال القلوب، لكنها تحتاج إلى مزيد دراسة وعلم واطلاع، وكل ذلك لا يغني عن رياضة القلب والنفس والعقل وتدريبها للارتقاء في سلم العلا الذي أنار الإسلام طريقه، وأوضح القرآن الكريم معالمه وكثيرًا من تفاصيله، وكان رسول الله ﷺ بسيرته وسنته الشريفة -ومَنْ قَبْلَهُ من الأنبياء والمرسلين- القدوة والأسوة الحسنة في التربية والسلوك الإيماني، وكذلك من صحبه وسار على هديه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

ونحـن إذ وصلنـا إلـى نهايـة هـذه الرحلـة المباركـة، فإننـا ينبغـي أن نربطهـا ونصلهـا برحلاتنـا الأخـرى مـن هـذه السلسـلة المباركـة بـإذن الله تعالـى وفضلـه؛ فنتائـج وثمـرات هـذه الرحلـة تتكامـل مـع ثمـرات ونتائـج رحلاتنـا مـع التوبـة وظيفـة العمـر، ومـع روح الطهـارة، والصبـر واليقـين، ومـع أركان الإسـلام والإيمـان وواجبـات المؤمـن فيهمـا، ومـع قصـص الأنبيـاء عليهـم السـلام، وقصـص الصحابـة الكـرام رضـوان الله عليهـم، وكيـف أتعلـم، وحيـاة جديـدة، والعلاقـات الاجتماعيـة، وقبـل ذلـك كلـه لمـاذا أنـا مسـلم، والانتمـاء إلـى الإسـلام حقـوق وواجبـات، وكل السلسـلة.

فنسـأل الله تعالـى أن يجعلنـا وكل مطلـع وقـارئ ومتعلـم ممـن يسـتمعون القـول فيتبعـون أحسـنه، وأن يكرمنـا بفهـم إسـلامنا علـى الوجـه الـذي يرضيـه عنـا، وأن يجعـل قلوبنـا وعقولنـا ونفوسـنا مطمئنـة بربهـا، سـاعية إلـى رضـاه، سـاجدة بـين يديـه، عابـدة حامـدة شـاكرة لـه عـز وجـل.

هـذا وصلـى الله علـى نبينـا محمـد، وعلـى آلـه وأصحابـه أجمعـين، وعلـى إخوانـه مـن الأنبيـاء والمرسـلين، والحمـد لله رب العالمـين.

مركز أصول
www.osoulcenter.com

إن قلب الإنسان إذا استقام وصلح، استقامت نفسُه وجوارحه؛ لأن القلب قائدها، واستقامت بعد ذلك مختلف أحواله وأعماله، وحصل له من الانشراح واللذة والمتعة والسرور والبهجة ما لا يعرفه إلا من ذاقه، فيكون في جنة معجَّلة قبل جنة الآخرة.

ولهذا كانت أعمال القلب وعباداته أشرف وأعلى من أعمال الجوارح وعباداتها؛ حيث إن هذه الأخيرة لا اعتبار لها دون تلك، فلا قيمة لعمل بلا إخلاص، ولا إخلاص دون توحيد، ولا ثواب بلا رضا وصبر وشكر، وذلك مرتبط بالمحبة والخوف والرجاء، والمراقبة والورع والتوكل والحياء والتوبة.

وكل عمل ظاهره الصلاح يفسد عندما يكون مقصده فاسدًا؛ كالرياء أو الزهو والتعاظم، فيصير مردودًا ولو مدحه الناس وأثنوا على صاحبه بكل كلام جميل، فالله أعلم بما في النفوس.

والقلوب تحتاج دومًا إلى التربية والتعاهد والإصلاح، وهذا يحتاج بدوره إلى دربة ورياضة للنفس يغفل عنها كثير من الناس، وفي كتابنا هذا لمحة عن أعمال القلوب وعباداتها، بإجمال واختصار.

يأتي هذا الكتاب ضمن سلسلة السلوك والتزكية، التي تضم أربعة عشَر كتابًا بُنِيَت وَفق طريقة التعلم الذاتي؛ لإكساب المسلم ما يحتاج إليه من معارف تُعينه على تهذيب نفسه وتزكيتها، بُغية الثبات على دين الله، والدعوة إليه ونشره بين الآخرين.

osoulcenter

www.osoulcenter.com
لتحميل هذا الكتاب وغيره من الكتب، من خلال متجر أصول:

osoulstore.com